الدكتور آزاد حموتو

# قلعة سمعان

## عمل تاريخي سردي وثقافي
## لموقع دير وبلدة القديس سمعان وحياته

DAR AZ-ZAMAN Publishing

# قلعة سمعان

---

عمل تاريخي سردي وثقافي لموقع
دير وبلدة القديس سمعان وحياته

**الكتاب: قلعة سمعان**
عمل تاريخي سردي وثقافي لموقع
دير وبلدة القديس سمعان وحياته

**الكاتب: د. آزاد حموتو**

---

**الطبعة الأولى:** 2020

**جميع الحقوق محفوظة**

**الترقيم الدولي:** ISBN 978-9933-636-12-8

**الناشر: دار الزمان**
**للطباعة والنشر والتوزيع**
**دمشق - سورية**

**فايبر وواتس أب:**
0049 176 76866381
**موبايل:** 0049 176 76866381
E-mail:zeman005@yahoo.con

الإخراج الداخلي: دار الزمان
صورة الغلاف الخلفي: **المؤلف ونيافة المطران يوحنا ابراهيم في إحدى الفعاليات الثقافية**
تصميم الغلاف: **م. جمال الأبطح**

لا يسمح بطباعة هذا الكتاب أو تصويره أو نسخه إلا بإذن خاص ومسبق من الناشر

Copy Right Dar Zaman Publishing
All Right Reserved. No Part of This Publication May be Reproduced Transmitted Without
Premission in Writing From The Publisher

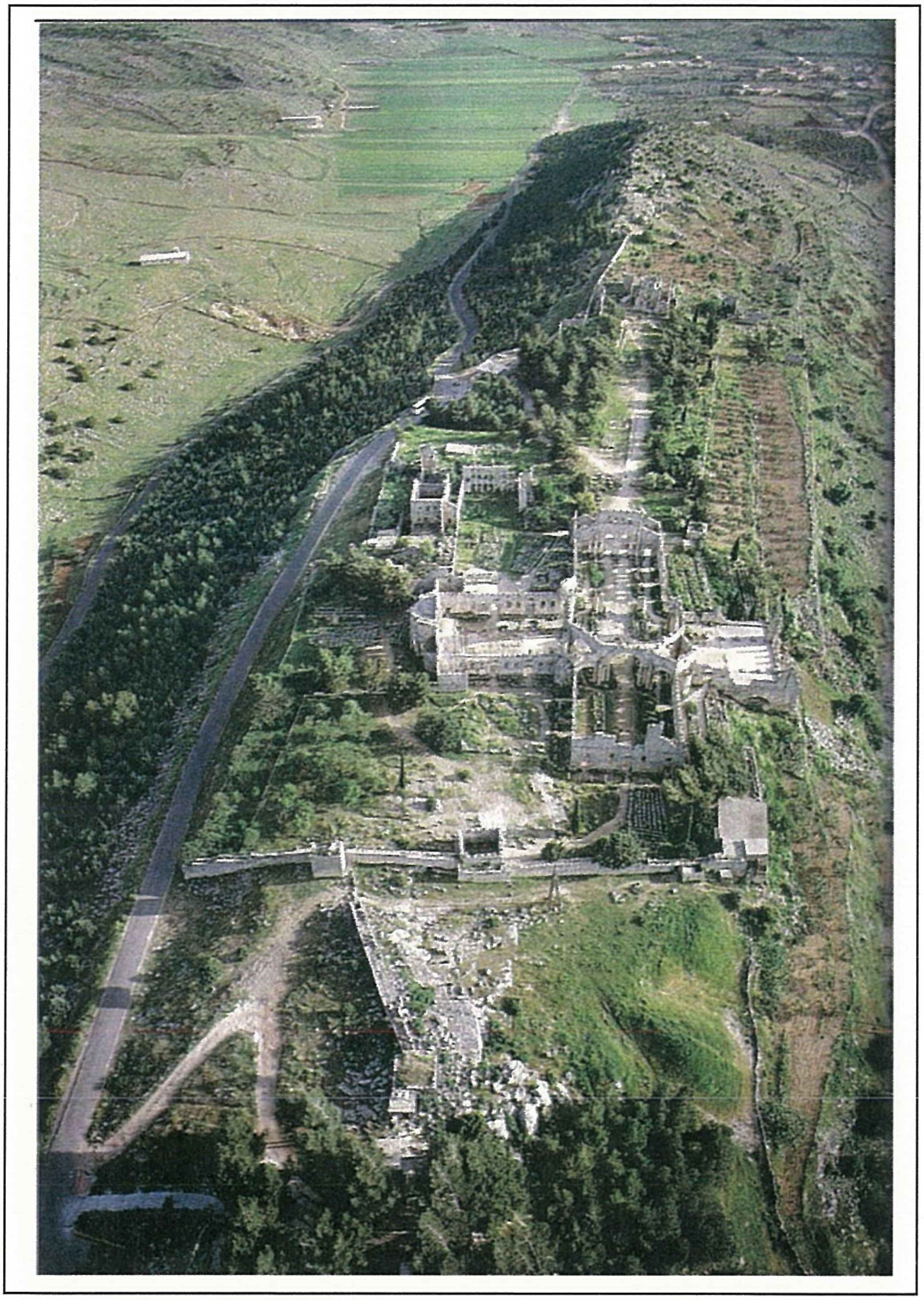

صورة جوية لموقع وقلعة سمعان

هذا العمل المتواضع....

مُهدى لِذكرى سيادة ونيافة المطران الكريم / العزيز صديقي مارغريغوريوس يوحنا إبراهيم المغيّب قسراً وقهراً، مطران أبرشية حلب للسريان الأرثوذكس وتوابعها.

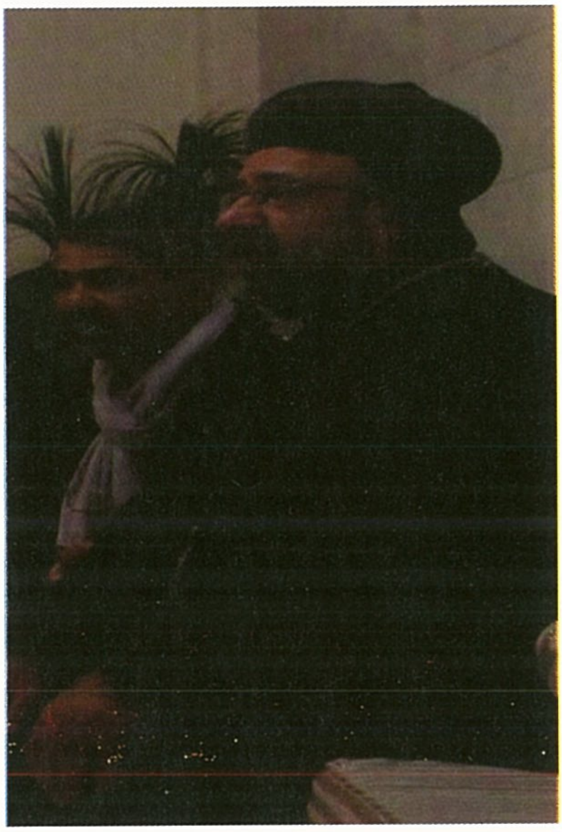

عربوناً لصداقة شخصية فكرية وثقافية على مدى سنوات...

ولذكرى قضاء ساعات جميلة وحميمة بالتحاور، وتبادل الأفكار والحديث عن الكتب والمكتبات، مع التمني الوجداني والروحي لفك أسره ولعودته السريعة والسالمة لرعيته ولمحبيه ولأصدقائه كذلك لزميله نيافة المطران يازجي المُغيّب قسراً معه!!

# المحتوى


- توضيح ........................ 9

- كلمة شخصية ........................ 13

1- تذكير بأهمية الموقع ........................ 18

1.1- ليس آخر تذكير ........................ 19

2.1- إضافة ........................ 19

2- مدخل ........................ 20

3- الكتلة الكلسية والمدن الميتة/المنسية والباحثون الأوائل ....... 27

4- موجز عن سيرة القدّيس سمعان ........................ 30

5- التطوّر المعماري التاريخي للموقع ........................ 39

5.1- البلدة ........................ 39

5.2- المزار/القلعة ........................ 41

5.2.1- بقايا المزار والمقام اليوم ........................ 46

5.2.2- المراحل التاريخية التسلسلية لبناء المزار/القلعة 48

5.2.3- كنيسة القدّيس سمعان ........................ 54

5.2.3.1- تاريخ بناء الكنيسة ........................ 59

5.2.3.2- وصف الكنيسة المصلّبة ........................ 60

5.2.3.2.1- وصف المثمّن حول العمود وسقفه 61

5.2.3.3- أجزاء الكنيسة المصلّبة ........................ 63

5.2.3.3.1- الواجهة الرئيسة مع الردهة/ الدهليز

(النارثكس Narthex) ........................ 63

5.2.3.3.2- الجناح الشرقي وحنيته ....... 67
5.2.3.3.3- الجناح الشمالي للكنيسة المصلّبة 70
5.2.3.3.4- الجناح الغربي للكنيسة ....... 71
5.2.4- دير كنيسة سمعان ............................ 72
5.2.5- مقبرة الرهبان ............................ 74
5.2.6- كنيسة المعمودية ..........................76
5.2.7- قوس النصر ودرب المواكب والحجّاج والوافدين.. 79
5.2.8- تحويل المجمّع الكنسي إلى قلعة وحصن دفاعي 81
6- بلدة دير سمعان (تلانيسوس) ............................ 85
6.1- الدير الشمالي الغربي ............................ 88
6.2- الدير الجنوبي الغربي ............................ 90
6.3- الدير الجنوبي الشرقي ............................ 92
6.4- الكنيسة الشمالية الشرقية ............................ 93
7- قلعة سمعان حديثاً (الباحثون والترميم والتنقيب) .......... 94
8- وصف تقريبي لبرنامج حجّاج وزوّار المزار في ذاك الزمان. 101
9- المصادر والمراجع ............................ 105
10- الأشكال (الصور والمخططات) ............................ 107

# تـوضيح

- أعددتُ هذا العمل التاريخي الأثري السردي في العام 2009 كاستشاري سياحي ثقافي وتاريخي أثري لصالح مَشروع هَندسي دِراسي مُتكامل[1]؛ بهدف وغاية ترميم وتطوير وتأهيل موقع ومنطقة قلعة القدّيس سمعان العمودي ومحيطه الجغرافي للسياحة الثقافية الدراسية البيئية المستدامة، إلى جانب تجهيزه لضمه لقائمة مواقع المدن المنسية في منطقة شمال غرب سوريا، وذلك لكي يتم تصنفيها كمحميات تراثية ثقافية، وإدراجها جميعاً على لائحة حماية التراث العالمي من قبل منظمة اليونيسكو للثقافة والتعليم، التابعة لهيئة الأمم المتحدة[2].

- المشروع كان لصالح وزارة الثقافة السورية، مُمثّلة بالمديرية العامة للآثار والمتاحف في دمشق، وكان ممولاً من قبل الصندوق العربي للإنماء الاجتماعي والاقتصادي في دولة الكويت.

- المشروع الدراسي نُفّذ من قبل شركة سعودكونسلت SAUDCONSULT، مكتب الخدمات الاستشارية السعودية، ومقره مدينة الرياض في السعودية، وذلك تحت إشراف مُنسّق المشروع

---

(1) منها أيضا دراسة اجتماعية اقتصادية في نهاية العام 2010 من إعدادي، وبمشاركة الأخ المهندس المعماري ماجد البين. المشروع ككل تضمن دارسات هندسية معمارية وتخطيطية تنظيمية ومدنية إنشائية وطبوغرافية وجيوتكنيكية وكهربائية وترميمية إلخ...

(2) في العام 2011 تم رسمياً إدراج المناطق التالية للائحة كمحميات:1- محمية بَراد، 2- قلعة سمعان، 3- سنخار وشيخ سليمان، 4- محمية جبل باريشا حول باقرحا، 5- محمية جبل الأعلى حول قلب اللوزة، 6- محمية الوسطاني حول كفر عقارب وبنصرة، 7- عشر قرى حول البارة وسرجيلا، 8- الرويحة وجرادة. معلومة مشكورة من الصديق الدكتور مأمون عبد الكريم، مشرف الملف العلمي للمشروع لدى اليونيسكو آنذاك.

الصديق الدكتور المهندس عبد القادر حريري، المدرس في كلية العمارة، جامعة حلب وعميد كليتها السابق.

- الشكر الخالص للنشيط الشغوف بالتاريخ والآثار الأخ المهندس عبد الله حجّار، ابن مدينتي، حلب المحروسة، الذي شاركني حينذاك بمعلومات تفصيلية قيمة وبصور جميلة لهذه الدراسة.

- العمل بشكله الحالي كمطبوعة تغير كثيراً بأقسامه وبأجزاء أجزائه ويختلف في كثير من النقاط والفقرات عن عمل العام 2009، ولكن بقي على شكله وتسلسله (الأقسام 1-9 وأجزاء أقسامه)، وحافظ بشكل ما على طابعه وأسلوب توجهه التدويني الحافز للدارسين المشاركين في المشروع وللجهة المنفذة، وللهيئة العليا المرام لها.

- لقد أضفتُ هنا وهناك بعض الفقرات والأجزاء والصور التوضيحية والمخططات الشارحة له، وعملت على تفصيل الكثير منها، وتوضيحها، وبالمحصلة توسّع وكَبر العمل وتعدل ترتيب مضمونه ومتنه، ولم يعد يشبه سابقه.

- كما أعدتُ صياغة كُل جُملِه تقريباً من العمل القديم والتي كانت قصيرة وخالية من الوصف والشرح المجازي بأخرى وصفية شرحية مُنسقة وبجمل سردية تعبيرية.

- التغيير الظاهر الذي أجريته على كامل المطبوعة هو استخدام نمط لُغة سلسة ومرنة ومفهومة لجميع القرّاء والمهتمين الشغوفين بتاريخ المنطقة وبأعلامها بَدل نمط وأسلوب اللغة الوظيفية التقنية المتعارف عليها في دراسات المشاريع الهندسية. وبالتالي أصبحت لغة الكتاب، لغة فردية خاصة بنمطي وستيلي التدويني. والكتاب مُدوّن بشعورٍ وبنكهةٍ شخصية وبترضية ذاتية خاصة.

- الإضافة الكبيرة والمختلفة عن محتوى ومتن عمل 2009 كانت قسم *«الكلمة الشخصية»* المستهلة للكتاب بشكله المطبوع هذا!!

- مصادر الأشكال (الصور والمخططات) بعضها معنون بجانب رقم الشكل مباشرة، والباقي واردة في القسم الأخير، رقم عشرة.

- الشكر الجزيل للصديق العزيز الأستاذ سراج عثمان، صاحب ومدير دار الزمان في دمشق لإشرافه على تصميم وإخراج وطباعة هذا الكتاب والشكر الجزيل أيضاً للأستاذ عبدالمجيد خلف الذي قام بقراءته وتدقيقه لغوياً.

ميونخ، منتصف كانون الأول من العام 2020

# كَلمة شَخصيّة

**موقع ومكان قلعة سمعان**، كما تُكنّى اليوم، هي من أجمل أماكن الرحلات الربيعية المتألقة القريبة لأهالي وأناس مدينة حلب المحروسة، وأحلاها على الإطلاق، والتي يؤمونها ويزورونها في أوقات استراحتهم، وفراغهم، وليقضوا أيام عطلهم الأسبوعية والرسمية في موقعها الجميل، والذين يعرفون بحبهم وعشقهم للأماكن الخضراء، وبطبيعة المكان الذي يتداخل فيه التمتع والانصهار والتفاعل مع طبيعتها الخلّاقة؛ خاصة في هذا الفصل السنوي الزاهي بألوانه، وبالنشاط الحيوي فيه بعد السَبات والاسترخاء الشتوي الطويل، وبالمرح والسرور بالشواء في الهواء الطلق، والتمتع بأجوائها الهادئة، والتلذذ بالتهام الأطعمة الشهية المتنوعة المحضرة شخصياً تحت ظلال أشجارها الشجية، وبإطلاق العنان لحناجرهم لتصدح بموسيقا رائعة بين أسوارها وأوابدها، وبشدو موشحات وقدود، سوياً مع كوائنها الخلقية الطائرة والأرضية منها في هذا الفصل السنوي الخصيب البادئ لدورة الحياة الكونية المنظمة.

إلى جانب سمات جميلة أخرى لهذا الموقع والمكان لأناس وأهالي البلدات والقرى الوديعة المحيطة بها، والمنتشرة بحضن طبيعتها الخلّاقة كجزء من سجادة طبيعية مُحاكة ومُطرّزة بألوان نباتاتها الملونة، وببيوت سكانها وحظائر دوابها غير المقيدة بنظام معماري تخطيطي مُحكم مفروض عليها.

منهم من يرحب بهذا الفصل الخصيب الباهي بالتنزه بين حقولها ومزارعها، وبشم نسيم روائح أزهارها وخضارها؛ ومنهم من يحتفل بدورة رأس سنته الرنگين بين مساحات وفضاءات أطلالها الأثرية

بالرقص والغناء وارتداء الملابس المزركشة الزاهية الألوان كألوان الزهور والورود الربيعية لهذه المنطقة الجميلة[1].

الكل على طريقته يستقبل شهر تجدد دورة الحياة، شهر آذار، أول أشهر فصل الربيع، والكل يعطون الانطباع بأنهم هم جزء ولاعبون أساسيون من هذه الطبيعة البهية المسالمة والخلّاقة.

مما لا شك فيه أن اللاعب الأساسي لهذه الجماليات والأحاسيس والمشاعر الروحانية هو الموقع والمكان بعينه وذاته.

تناسق وتوازن حجر وصخر ونبات وشجر وإنسان وحيوان هذا المكان المؤطر بسماء قريبة - أغلب الأحيان زرقاء صافية - وبأرضٍ دافئة حاضنة له تتناغم فيها الأشكال والأدوار بعضها ببعض بهرمونية عالية الإيقاع، وفريدة بصدى أصواتها المتشابكة المتداخلة وكأنها سيمفونية موسيقية طبيعية تصدح كخرير جدول ماء ينساب بكل وداعة وهدوء، ومتجانسة مع بعضها بعض، تتوزع وتنضبط وتتلاعب فيها الأدوار والحركات والأنغام مسبقاً وتخرج منها أصوات إيقاعية وروائح زكية ونسائم عليلة تتمازج وتنصهر سوياً.

سيمفونية طبيعية بارعة تُعزف من فرقة موسيقية بعازفين غير مرئيين، ومُقادة من مايسترو سماوي غير ظاهر للعيان.

**موقع جبل سمعان** يمتاز بفرادة طبيعته وبيئته الخلّابة الخلّاقة، وذلك بطبوغرافية وتضاريس هضبته الخاصة المتميزة، وبجبله الورع الوادع الهادئ الساكن، وبشكل وبتركيبة تكوينه الجيولوجي الصخري الكلسي، وبهواه المنعش، وريحه الخفيفة، ونسيمه العليل، وأشجاره المائلة والمنحنية بفعل الرياح الغربية (الشكل رقم 43)، التي كأنها تقبّل

---

(1) عيد النوروز عندنا، رأس السنة الكردية.

الأرض الحاضنة لها، احتراماً للريح الغربية الرطبة للروح والنفس، وببقايا آثاره وأوابده الهندسية المعمارية الجميلة المصممة والمزخرفة والمنحوتة بذوق رفيع وبإتقانٍ فني جمالي عالي الحرفية.

تمتاز هذه البقعة الجغرافية بروحانية إيمانية خاصة بها، وبشعور وإحساس قُدسي قَلّ نظيره ومثيله بين أماكن المنطقة عموماً، وبسحر جماله الفارد والشعور بقربه من السماء، وبفرادته الساجية على التربة الحمراء الخصبة، والمزينة بالصخور الكلسية الملونة التي تشكل أرضيته، وأخيرا، وليس آخراً بإطلالته الخلّابة على جبل الكُرد المناظر مباشرة له، وللرؤية البانورامية الجميلة البعيدة المدى لسهل جومه الخصب، وبالتمتع بمنظر قمم جبال الأمانوس في الأفق غير البعيد، وعلى سياج أشجار الصنوبر والسرو والبلوط والتين والزيتون المنسقة المحيطة به، وطبعاً بمتعة الرياح الغربية الباردة للنفس وبنسائم هواء البحر البعيدة.

**موقع ومكان قلعة سمعان**، هو مكانٍ لا يُعلى عليه كرابطٍ وواصلٍ بين الديني الإلهي والدنيوي الإنساني. موقعٍ ومكان تأملي تعبدي روحاني ساحر وتخيلي تمعني فكري بامتياز، فريد من نوعه، قلما تجده بين الأماكن المنبسطة بأحضان الطبيعة في سوريا الوطن، وأيضاً يشكل مساحة فضاء واسعة ومُقربة للمتعبّد المؤمن بربِه وإلهِه ورُسلهِ وقداديسه وأوليائه الصالحين، إلى جانب أنه يُمثل للمرء والفرد العادي بقعة مكانية غير مشوشة لصفاء الذهن والنفس والروح، يغوص فيه المرء والفرد الإنساني بنفسه وبذاته الشخصية اللاواعية العميقة هارباً من مصاعبه وهمومه اليومية والمعيشية، ومن أمراضه الحياتية المدينية الحديثة (السترس)، ومستعيداً لتوازنه الداخلي الباطني، وباحثاً عن السكينة والهدوء والاسترخاء.

كذلك يشكل منزلة مساحية مريحة للتخلص من الطاقات المستهلكة المتراكمة، وبالتالي استراحة تجددية ذهنية فكرية، كذلك لشحن طاقات جديدة، ولإجراء وإيجاد حلول لمسائل عالقة بالعقل والفكر، وللتصالح والتسالم مع النفس والذات، (الصورة التالية).

**اطلالة من الفسحة المُشجرة بالمزار باتجاه الغرب، في الافق يبدو للناظر منها جبل الكُردّ وقمم جبال الامانوس**

هو موضع ومكان يُحسّ المرء والفرد والكائن الحيّ فيه بحالة تأملية إيمانية قدسية وروحانية متساوية ومتوازنة مع ذاته، ومهيبة فيه نفسياً وفكرياً، التي تقوده لإدراك ومعرفة وشعور مساحة حجمه وحدود كبره، وإمكانيات قدراته المحدودة مقياساً لمهندس طبيعته الخلابة ولمبدع بيئته الملونة الزاهية، ولعظمة خالق كونه اللامتناهي السرمدي.

وأيضا مكانٍ مُعمق بالوجدان والنفس والروح، والذي ينصهر ويذوب ويغطس الزائر العادي والمتأمل والسائح الفضولي والضيف المؤمن المتعبّد فيه، كغطس المؤمن الحاج في حوض ماء التعميد المقدّس

في كنيستها المعمودية المثمّنة. إضافة إلى عناصر مكانيتها البيئية الطبيعية الساحرة والجمالية الرفيعة والدينية التعبدية.

*هذه الكلمة الساردة/الشارحة هي انطباعات ومشاعر شخصية بحتة متعلقة بي، وتكونت لي على مر سنوات من الزيارات المكثّفة الدائمة للموقع والمكان الفسيح، وذلك مشياً وراجلاً وراكباً عربة، وذلك تقريباً بكل مزارعها وحقولها وضيعها وقراها وبلداتها وجلوساً تحت فيء أشجارها الظليلة، متأملاً سارحاً بأوابدها، وببقايا أثآرها وبروحانية مكانها، متخيلاً أناسها وأهلها المؤمنين في ذلك الزمن الغابر.*

هذه الكلمات والأسطر الشخصية التعبيرية والوصفية حُررت وأضيفت في مدينة ميونخ الألمانية في شهر تشرين الثاني من العام 2019.

## 1- تـذكـيـر بأهمية الموقع

- *«إلى جانب المدينتين الإيطاليتين هيركولانوم وبومبجي (Herculaneum, Pompeji) - من العهد الروماني - اللتين رُدمتا بفعل هيَجان وفوَران بركان جبل فيزوف*، (جنوب مدينة نابولي/ إيطاليا اليوم) *في 24 آب من العام 79 بعد الميلاد تعتبر **مواقع المدن المنسية** في سوريا أفضل مثال* باق للأوابد الكلاسيكية القديمة»، *«إيغناسيو بنا Ignscio Pena»*. عالم ومؤرّخ إسباني، بهذه الكلمات وصف الباحث الأكاديمي إيغناسيو مدن وبلدات وقرى المدن المنسية في شمال غرب سوريا.

- الأسماء الأولى للمواقع السياحية الثقافية التراثية المهمة **لسوريا**، التي تكون عادة ضمن أي برنامج سياحي لرحلات مُنظمة من قبل الشركات والوكالات والمكاتب السياحية الثقافية المحلية والوطنية والأجنبية والعالمية، والتي تخطر على ذهن وبال كل زائر وقاصد لها، من الوهلة الأولى - بغض النظر عن ترتيبها - هي:

- **تدمـر** (عروس بادية الشام).

- **دمشق** (القريبة من التراث والثقافة العربية المشرقية والأفريقية)

- **حلـب** (القريبة من التراث والثقافة المتوسطية والأوربية والمشرقية والآسيوية).

- **قلعة سمعان**، القدّيس العمودي (علامة ورمز الازدهار الإيماني المسيحي المشرقي).

- **قلعة الحصن *(حصن الأكراد)***، (رمز العمارة التحصينية الصليبية الأوربية الغربية).

- **ومسرح بُصرى الشام** (رائعة الهندسة الرومانية في سوريا).

هذه الأسماء والعناوين تُعد من الدرر الكبرى المقابلة لاسم **سوريا** التاريخي الحضاري الطويل!!

- أيضا للتذكير: يجمع جميع علماء اللاهوت المسيحي وعلماء الأديان بأن ولادة وانطلاق وانتشار الدين المسيحي كان من **سوريا الوطن**. ومحطاتهِ الرئيسة كانت مدن **دمشق**، **وأنطاكيا**، و**أفاميا**، **وكيروس** (النبي هوري اليوم)، **وأورفا** (الرها) الواقعة في تركيا اليوم.

## 1.1- ليس آخر تذكير:

بأفُول وتراجع العهد المسيحي في المشرق في نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن بعد التقويم المتعارف عليه(1) بدأت الديانة المسيحية، فعليا بعد هذا التاريخ بالانتشار والتوسع التدريجي وأخذ مكانتها في أوروبا الغربية ومن ثم بالأمريكيتين ومناطق أخرى من العالم.

## 1.2- إضافة:

موقع **قلعة سمعان** اليوم، إلى جانب مدينة **حلب القديمة**، يعتبر من أهم المعالم السياحية الثقافية التراثية وأرقاها في شمال غرب سوريا. زوّاره وقاصدوه من جميع الجنسيات والبلدان والأمصار، ومن كل الأهواء والأذواق، فمنهم المؤمن المتعبّد، ومنهم المتأمل المفكر، ومنهم الشاعر والأديب الباحث عن أفكار، وعن شخصياتٍ لأعمالهم الإبداعية، ومنهم الموسيقي المصغي لأنغام وأصوات ملائكة سماء وأرض هذه البقعة المقدسة وتالياً لتلقف إيقاع حركاتهم الملائكية، ومنهم المثقف المكترث، إلى جانب العالم الدارس والفنان المبدع الباحث عن الهدوء والسكينة، واحتضان الطبيعة والبيئة الخلّابة بكل

---

(1) مُعدّ هذا العمل يُحبذ ويُفضل استعمال هذا الاختصار التقويمي التقني بدلا من المختصر الشائع **ب.م.**، والمقصود به بعد ميلاد السيد المسيح.

الإطلالات المحيطة بالمزار المقدس، وأخيرا، وليس آخراً المعماري المهتم والمدهوش بتفاصيل زخرفة تيجان وأقواس بقاياها الإنشائية البنائية الجميلة.

للموقع والمنطقة بشكل عام خصوصية فريدة، وله سحر روحاني - تعبدي - فيه سكينة وجلال ورصانة، فيه هدوء نفسي، فيه إحساس وشعور بالعودة للذات الشخصية، فيه نوع من توازن الإنسان وارتباطه مع الطبيعة. هذه النوعية من المعالم السياحية قلما توجد في أماكن أخرى.

هذه التشابيه والتعابير هي نتيجة استبيان لزوّار وسواح ألمان وسويسريين ونمساويين وآخرين ناطقين باللغة الألمانية الرسمية من فرنسا والولايات المتحدة وجنوب أفريقيا زاروا الموقع وذلك على مدى ثلاثة عشر عاما الأخيرة[1]!!

## 2. مدخل:

- تاريخيا وأثريا، استوطن الإنسان منذ الماضي السحيق في هذه المنطقة. على بُعد بضع كيلومترات شمال موقع قلعة سمعان، وبالتحديد في **كهف الدودرية**[2]، اكتشف علماء ما قبل التاريخ اليابانيون في أوائل التسعينيات من القرن الماضي هياكل عظمية شبه كاملة للإنسان النياندرتالي المنقرض (معروضة بشكل أنيق في متحف حلب). وهذه بحد ذاتها من المكتشفات القليلة في العالم أجمع!!

---

(1) مُعد هذه الدراسة كان يعمل من العام 1995 وحتى العام 2011 لصالح شركة شتوديوسس Studiosus الألمانية للسياحة الثقافية الدراسية، كمنظم ومنسق ومُعد لبرامجها، وقائد لبعض مجموعاتها الزائرة، وذلك في البلدان التالية: اليمن، المملكة السعودية، العراق، الأردن، لبنان وسوريا الوطن.

(2) الاسم كردي ويعطي معنى كهف (ذو البابين)، وهو كذلك!

أيضا على مسافة قريبة من الموقع بجانب نهر عفرين وبحوضه الخصيب، يقع معبد **عين دارا** الفريد من نوعه، والباقي للزائر بمنحوتاته الجميلة النافرة، وأسدِه البازلتي الكبير والمؤرّخ في القرن العاشر قبل التوقيت المتعارف عليه[1].

- رحلة حَج القدّيسة هيلانة - والدة القيصر الروماني الأخير والبيزنطي الأول وراعي الدين المسيحي، القيصر قسطنطين (حكم بين 306-337 ب.ت.، مؤسس مدينة القسطنطينية على مضيق البوسفور) - إلى الأراضي المقدسة وخاصة مدينة القدس الشريف، كانت الباعث والملهم الأول للحجّاج المسيحيين الأوائل بزيارة الأراضي المقدّسة، وعلى رأسها القدس الشريف ومزارات الشهداء والمعالم الدينية الأخرى.

- بعد مُجمع نيقايا \ Nikaia المسكوني المسيحي في العام 325 ب.ت. بدأت حلقات الانشغال والاهتمام والدراسة عن الدين الجديد تبدأ بالظهور والتشكل وذلك بعدة محاور، منها محوران وموضوعان مهمان: الأول عن حياة ومعاناة وشقاء وعذاب السيِد المسيح، والثاني عن الشهداء المؤمنين الأوائل، الذين ضحوا بأنفسهم وأرواحهم من

(1) موقع عين دارا، وتلها الأثري يعتبر من المواقع الغنية جداً بآثارها التاريخية المهمة لمنطقة شمال غرب سوريا، والتي ما زال القسم الأكبر منها مدفوناً تحت ردم السنين.

الموقع والتل؛ وخاصة معبده الجميل بمنحوتاته البازلتية البارزة تعرض في ربيع العام 2018 إلى قصف وحشي مستهدف، ولتخريب متعمّد، ولتحطيم كبير لمنحوتاته من قبل الاجتياح التركي الهمجي البربري، وبمساعدة أعوانه، وأزلامه من رعاع حجب النور، وتهميش التاريخ، وقاتلي الإنسان والحيوان، وأصحاب تجريف النبات، ومدمري المكان، وملوثي البيئة الخصبة، سُرِق، ونُهِب الموقع والتل، وخاصة أسده الشامخ؛ حارس معبده الخالد الأبدي.

أجل هذه العقيدة الإيمانية الجديدة. مواقع هذه الحلقات الدينية طوّرت وتوسعت، وأخذت لاحقا شكل الأديرة للتعبّد وللرهبنة ودراسة اللاهوت.

أشهر المواقع الدينية لشهداء الدين المسيحي الأوائل كان مدفن القدّيس سركيس /سيرجيوس، الشهيد الضابط الروماني الجنسية - السوري الأصل - في موقع الرصافة في البادية السورية اليوم، جنوب مدينة الرقة.

ومن أشهر المواقع لدراسة وتقفي حياة السيد المسيح بكل جوانبها، كان بلا منازع موطن القدّيس سمعان، الذي وهب نفسه وحياته لكي تكون قريبة ومشابهة لحياة السيد المسيح بآلامه وعذابه وشقائه ومعاناته وأكثر من ذلك.

- لسوريا أهمية خاصة بالنسبة لبدايات ونشوء وتطوّر الديانة المسيحية، ففي أرضها قامت أولى أماكن التعبّد؛ ففي قيصرية فيلبس (بانياس الجولان المحتل) ذُكر عن السيد المسيح بأنه قال للقدّيس بطرس: «*أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستيّ*».

- كما أن القدّيس بولس الرسول، المبشّر الأول تحول إلى المسيحية على يد الحَواري حنانيا الشامي في مدينة دمشق، منطقة باب شرقي.

- كذلك استعملت كلمة «مسيحيين» لأول مرة في مدينة أنطاكيا السورية التي سمّيت ثيوبوليس (مدينة الله) أيام الامبراطور جوستينيان، إضافة إلى دور مدينة أورفا في بدايات المسيحية.

- ضحى الكثير من الأشخاص بأنفسهم وأرواحهم في سبيل هذه العقيدة الجديدة في سوريا، وأصبحوا الشهداء الأوائل. معظم

الكنائس ودور العبادة المسيحية في هذه الحقبة التاريخية حملت أسماء هؤلاء الشهداء بدءا من القدّيسة تقلا (مقامها في بلدة معلولا)، جبال القلمون، أولى النساء الشهيدات، إلى جانب القدّيسين المشهورين سركيس/سيرجيوس وباخوس اللذين استشهدا في العام (297 ب.ت.)، الأول في معسكر الرصافة في البادية السورية، والثاني في باليس (بلدة مسكنة اليوم قرب نهر الفرات) بالإضافة إلى الأخوين الطبيبين قزما ودميان اللذين فقدا حياتهما في كيروس (النبي هوري اليوم) (305 ب.ت.) وأخيرا، وليس آخرا القدّيسان الكبيران بطرس وبولس الرسولان اللذان أعدما في روما (86 ب.ت.)..

- مع إعلان حرية ممارسة الديانة المسيحية من قبل القيصر قسطنطين الكبير (313 ب.ت.) والانتهاء من أعمال مجمع نيقايا المسكوني، بُدء ببناء دور العبادة والكنائس والأديرة في كل مناطق سوريا. في البدايات قامت الكنائس الجديدة إلى جانب المعابد الدينية الوثنية مع تأسيس الدولة البيزنطية من قبل الامبراطور ثيودوسيوس وجعل عاصمتها القسطنطينية عام 395 ب.ت. وكانت سوريا تابعة لها، أصدر هذا الحاكم أمره بتحويل هذه المعابد الوثنية إلى كنائس. هكذا بدأت المراكز والمعالم ذات الطابع المسيحي وخاصة الفن بكل أشكاله، خصوصا فن الفسيفساء/الموزاييك والأسلوب والنمط الفني المعماري البيزنطي، بالتوسع والانتشار المطرد.

- **محَجّ** موقع سمعان العمودي أنشئ وعمّر وازدهر بفضل شخص الناسك سمعان نفسه، وهذا بسبب طريقة وسلوك حياته ونهجه المميز بالعبادة بالدرجة الأولى. بينما القرية كانت موجودة قبله، ولكنها ازدهرت وطوّرت من بعده **كمحَجّ** أساسي للحجّاج المسيحيين وللفضوليين الزائرين.

- المزارات الأساسية للحجيج في ذلك الزمن كانت: مدينة أنطاكيا (محطة انطلاق تبشير بولس الرسول)، مدينة القدس الشريف، **مزار القدّيس سمعان** ومزار الشهيد سركيس/سيرجيوس في الرصافة في البادية السورية.

- من الأسباب المهمة والفاعلة التي أدت إلى ازدهار منطقة المدن البائدة أو المنسية كما تسمى، منها - موقع قلعة سمعان نموذجاً - في العهد البيزنطي المسيحي (خاصة من القرن الرابع وحتى نهاية السابع بعد التقويم المتعارف عليه)- هي: وجود **شبكة دروب وطرق مواصلات** ممتازة مع **جسور** مبنية فوق أنهر صغيرة وكبيرة، تربط تقريبا كل مدن وبلدات وقرى المنطقة بعضها ببعض، وأخرى تربطها مع جميع مدن الامبراطورية البيزنطية (آثارها موجودة حتى هذا التاريخ في بلدة دانا القريبة والجسرين الكبيرين القريبين من موقع النبي هوري/كيروس).

هذه الشبكة الطرقية التواصلية الجيدة (الشكل رقم 1) التي ورثتها الامبراطورية البيزنطية عن شقيقتها الرومانية، وأيضا بسبب **الحالة السلمية/الأمنية المستقرة** السائدة في جميع أنحاء وأطراف ومناطق نفوذ الدولة البيزنطية آنذاك، أدت إلى السفر والترحال والتواصل المستمر بين جميع رعايا الدولة البيزنطية وسكان المناطق المجاورة. هذه الحالة قادت إلى حرية سفر وترحال وتنقل واسع للأفراد والبضائع بدون حواجز وموانع وبدون الخوف على الروح والجسد من الاعتداء والقتل أو على السلب والنهب.

- نتيجة هذين العاملين المهمين: شبكة الطرق الممتازة والحالة الأمنية السلمية السائدة، قادت بالتالي **إلى نوعين من الحركة** ذات مغزى وفائدة ثقافية وحضارية وخاصة تجارية اقتصادية ومادية جمة؛

كانت محصلتها تطوّر وازدهار المنطقة معماريا على مستوى البناء والتشييد (قصور، فيلات، أديرة وكاتدرائيات وكنائس، نُزل وفنادق واستراحات) وحضاريا على مستوى إنسان المنطقة (علماء، فلاسفة، كهنة وقساوسة).

**أ- النوع الأول**: حركة تصدير واسعة النطاق لمادتين استهلاكيتين قيمتين ومشهورتين في المنطقة: **زيت الزيتون** ذي الجودة العالية **والنبيذ البلدي** المحلي ذي الطعم الغذائي القوي.

هاتان المادتان المنتجتان، صُدّرتا بكميات كبيرة إلى جميع مدن الغرب في الامبراطورية البيزنطية آنذاك.

**ب- النوع الثاني**: حركة **تنقّل وسفر وترحال** (سياحة دينية وتجارية بالمعنى العام[1]) واسعة النطاق ضمن مناطق الدولة (هذا النوع من الحركة في هذه الحقبة التاريخية أخذت شكل وهيئة ***الموضة*** بين مواطني ورعايا الدولة البيزنطية في ذلك الزمن). هذا الشكل من الحركة طغى عليها, بنسبة عالية, الطابع الإيماني الحجيجي الذي أدى إلى تنقّل أفواج كبيرة وكثيرة من الأشخاص والأفراد المؤمنين (سياحة دينية) على مستوى عال ضمن الامبراطورية البيزنطية الغنية والواسعة الأطراف، الذي كان هدفه ومرماه زيارة الأماكن الدينية المسيحية المقدسة في منبعها إلا وهي **سوريا**!!

- الموقع يقع ضمن مربع المدن الأربعة الكبرى في العصر الكلاسيكي (اليوناني-الروماني)[2] (الشكل رقم 2):

---

(1) حكمة جانبية: هناك مقولة معروفة يتداولها الناس تقول: *الحج والتجارة شيئان ملازمان لبعضيهما البعض*.

(2) أي حقبة الإغريق والرومان، وهي الفترة الممتدة تقريبا من القرن الخامس ق.ت. وحتى بداية العصر البيزنطي، أي تقريبا منتصف القرن الرابع ب.ت..

**أنطاكيا**، و**كيروس** (النبي هوري اليوم)، و**بيرويا** (حلب اليوم) و**أفاميا**. هذا المربع يقدر مساحته بـ 40150\30X كيلومتر مربع. ضمن حدود هذا المربع توجد حاليا 820 آبدة ومستوطنة أثرية من العصر الروماني والبيزنطي والإسلامي المبكر.

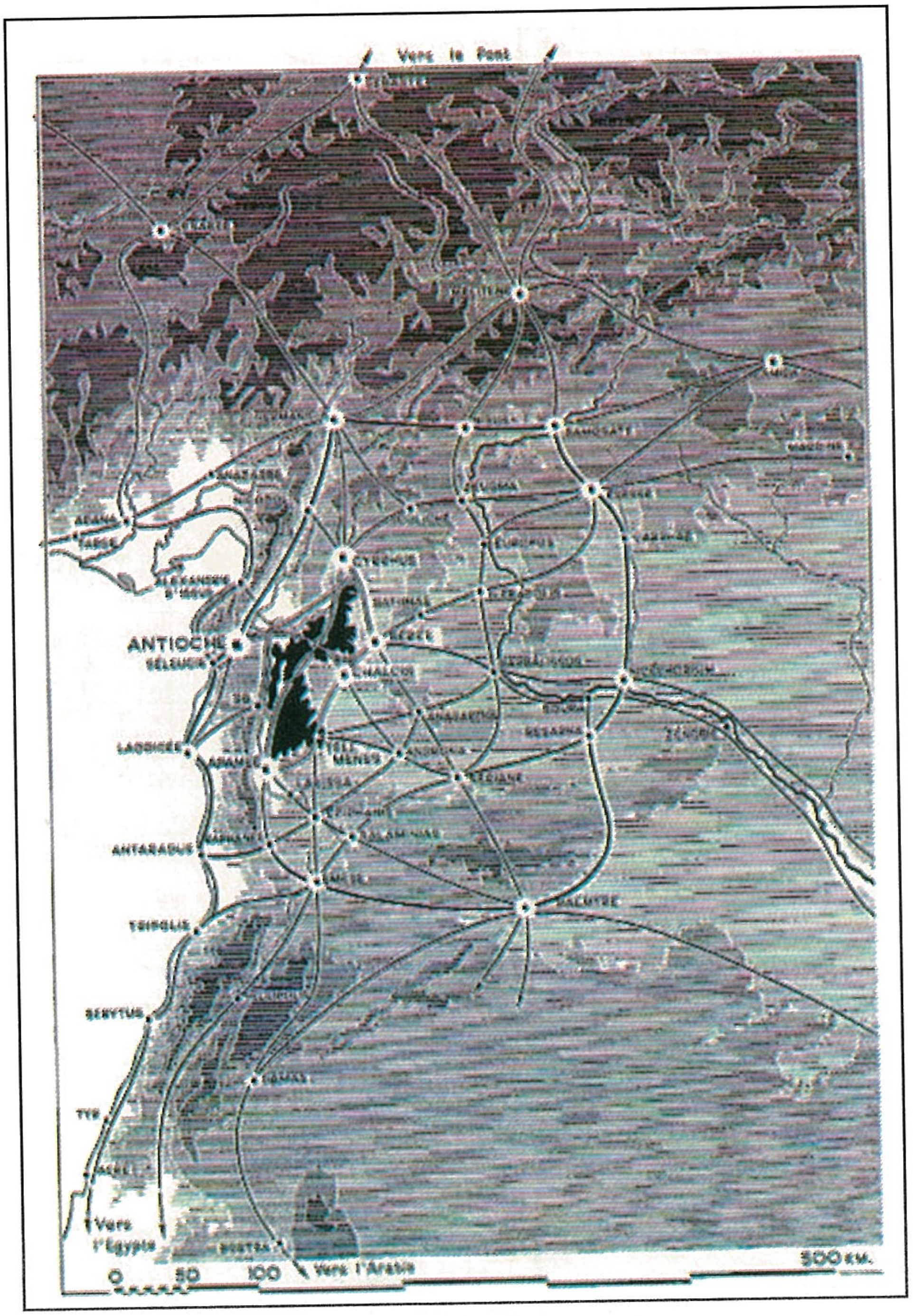


الشكل رقم 1، خريطة شبكة الطرقات والمواصلات

## 3- الكتلة الكلسية والمدن الميتة/المنسية والباحثون الأوائل:

- موقع ***قرية وقلعة سمعان*** يتبع اصطلاحيا لما هو متعارف عليه اليوم **بالمدن الميتة\المنسية** أو كما يسميها الباحث الدكتور شعث (المرجع رقم 1 في قسم المصادر والمراجع) ***بالمدن البائدة*** **(المدن المهجورة).**

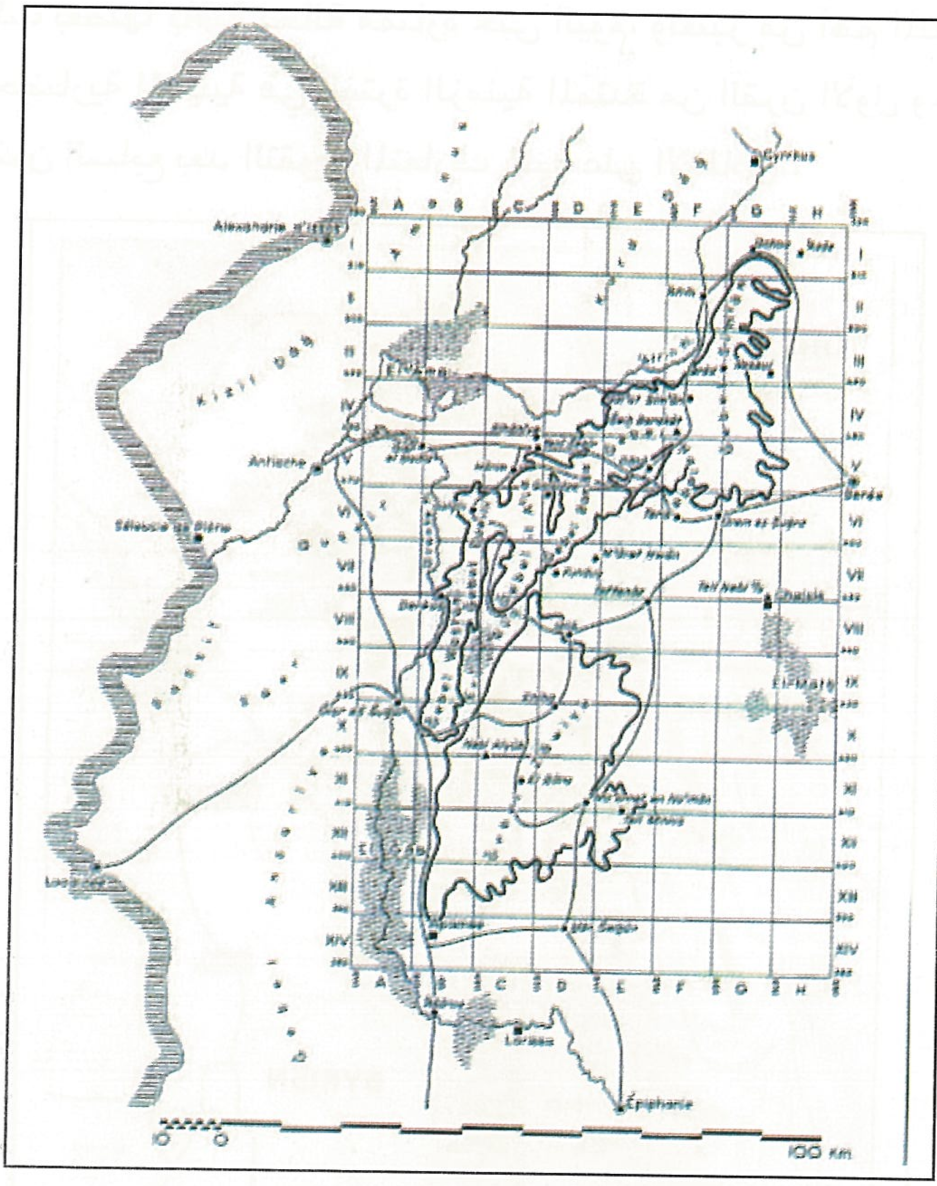


**الشكل رقم 2، خريطة منطقة المدن البائدة**

- هذه المنطقة تُعرف جغرافيا وجيولوجياً **بالكتلة الكلسية**، مُشكلة من هِضاب وجبال تقع ارتفاعاتها ما بين الـ 400 و900 م

عن سطح البحر. مناخيا، واستيطانيا كانت وما زالت، منطقة ملائمة ومناسبة لعيش وسكن الإنسان عبر العصور.

هذه **الكتلة الكلسية** الواقعة في شمال غرب سوريا الوطن اليوم مع أوابدها وأنقاضها البارزة المعالم لعصرنا هذا، والتي لا زالت بعضها باقية بحالة ممتازة حتى اليوم، وتعتبر من أهم المناطق الحضارية المدينية في الفترة الزمنية الممتدة من القرن الأول وحتى القرن السابع بعد التقويم المتعارف عليه على الإطلاق!!

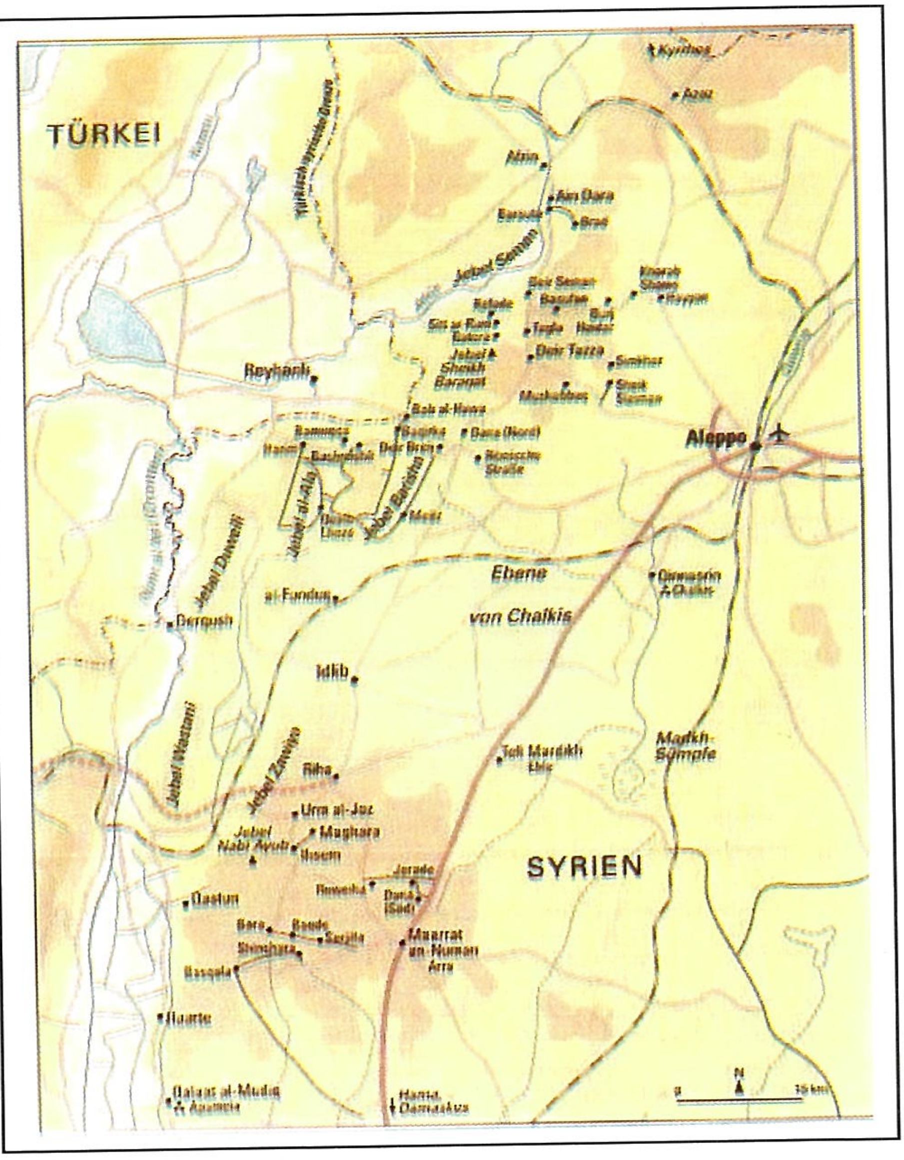


**الشكل رقم 3، خريطة حديثة عن منطقة المدن البائدة**

- درة وتاج هذه المدن البائدة أو المنسية كانت وما زالت موقع ما يسمى اليوم بـ **«قلعة وموقع سمعان العمودي»**. (الصورة الجوية صفحة (3)، والشكل رقم 3، الخريطة الحديثة التي تظهر المدن البائدة في منطقة شمال غرب سوريا).

- تضم الكتلة الكلسية في شمال غرب سوريا مجموعة من الجبال المعروفة والمشهورة: سمعان (الشيخ بركات)، حلقة، باريشا، الأعلى، الدويلي، الوسطاني والزاوية (أريحا)، وميّزت بذلك عن الكتلة البازلتية جنوب دمشق المقابلة لها. وسمّيت المواقع الأثرية فيها والتي تعود إلى الفترة الممتدة بين القرن الأول والسابع بعد التقويم المتعارف عليه **بالمدن الميتة** Villes mortes,Toten Städte .

كان الأب جوزيف ماترن أول من سمّى عام 1933 كتابه عنها «المدن الميتة في سوريا العليا Villes mortes de la haute Syrie ». وقد سمّاها الباحث تشالنكو في كتابه «القرى القديمة في شمال سوريا Villages antiques de la Syrie du Nord» .

- بما أن هذه المواقع هي في معظمها بلدات وقرى ومراكز تجمع صغيرة، ما عدا البارة وبَراد، يُفضل أن تطلق عليها تسمية «القرى الأثرية في الريف» التي تبناها الباحث جورج تات في كتابه «قرى الريف» Villages de la campagne . لقد بني في هذه القرى في فترة ازدهار المسيحية أكثر من 2000 كنيسة ودار عبادة، نصفها يحمل تاريخاً. أميَز هذه الكنائس: كنيسة القدّيس سمعان العمودي وكنيسة قلب اللوزة المميزة.

- يعتبر الفرنسي جان ملكيور دو فوغويه أول الرواد الذين اهتمّوا بالمعالم المسيحية المبكرة في سوريا. لقد زارها عام 1861 مع عالم اللغات ودنغتن وأصدر كتاب "سورية المركزية" Syrie Centrale عام

1877، وصف فيه 18 كنيسة بيّن فيها ميزات فن العمارة في الكتلة الكلسية من الجبال شمال سوريا والكتلة البازلتية (جبال اللجاة والصفا والدروز) في جنوبها. كان كتاب دو فوغويه المحرّض لمجيء الباحث هوارد كروسبي بتلر، المهندس المعمار وأستاذ تاريخ فن العمارة في جامعة برينستون الأمريكية، إلى سوريا مع بعثة متكاملة، يرافقه اللغوي الألماني المشهور أنو ليتمان في الأعوام 1899 -1900 و 1904 - 1905 و1909، وأصدر مطبوعاته عن أوائل فن العمارة في سوريا ضمن 5000 صفحة.

- تبع هؤلاء الرواد باحثون آخرون من أمثال الأب جوزيف ماترن وجورج تشالنكو وجان لاسوس وفان برشم وجورج تات وجان بيير سوديني وجان لوك بسكوب وأوليفييه كالو وسواهم من باحثي المعهد الفرنسي لآثار الشرق الأدنى، بالإضافة إلى الآباء الفرنسيسكان: ب. كستيلانا، إ. بينيا ور. فرنانديز إلى جانب الباحثة الألمانية كريستينه شتروبة، وقد ساهموا بدراساتهم لهذه المواقع والأوابد وتجوالهم في جميع الأماكن الأثرية المنتشرة في المنطقة المذكورة، باكتشاف مواقع عديدة لم تكن معروفة من ذي قبل.

## 4- موجز عن سيرة القدّيس سَمعان

(الشكل رقم 4 وشكل الغلاف الصغير):

هناك ثلاث سير موثقة تاريخياً عن حياته وفعله وتطوّره الديني، أشهرها بقلم صديقه الكاهن ثيودورت (Theodoret) أسقف مدينة كيروس (النبي هوري)[1].

(1) تلميذه الراهب أنطوان الذي كتب سيرته باليونانية وشهد وفاته.

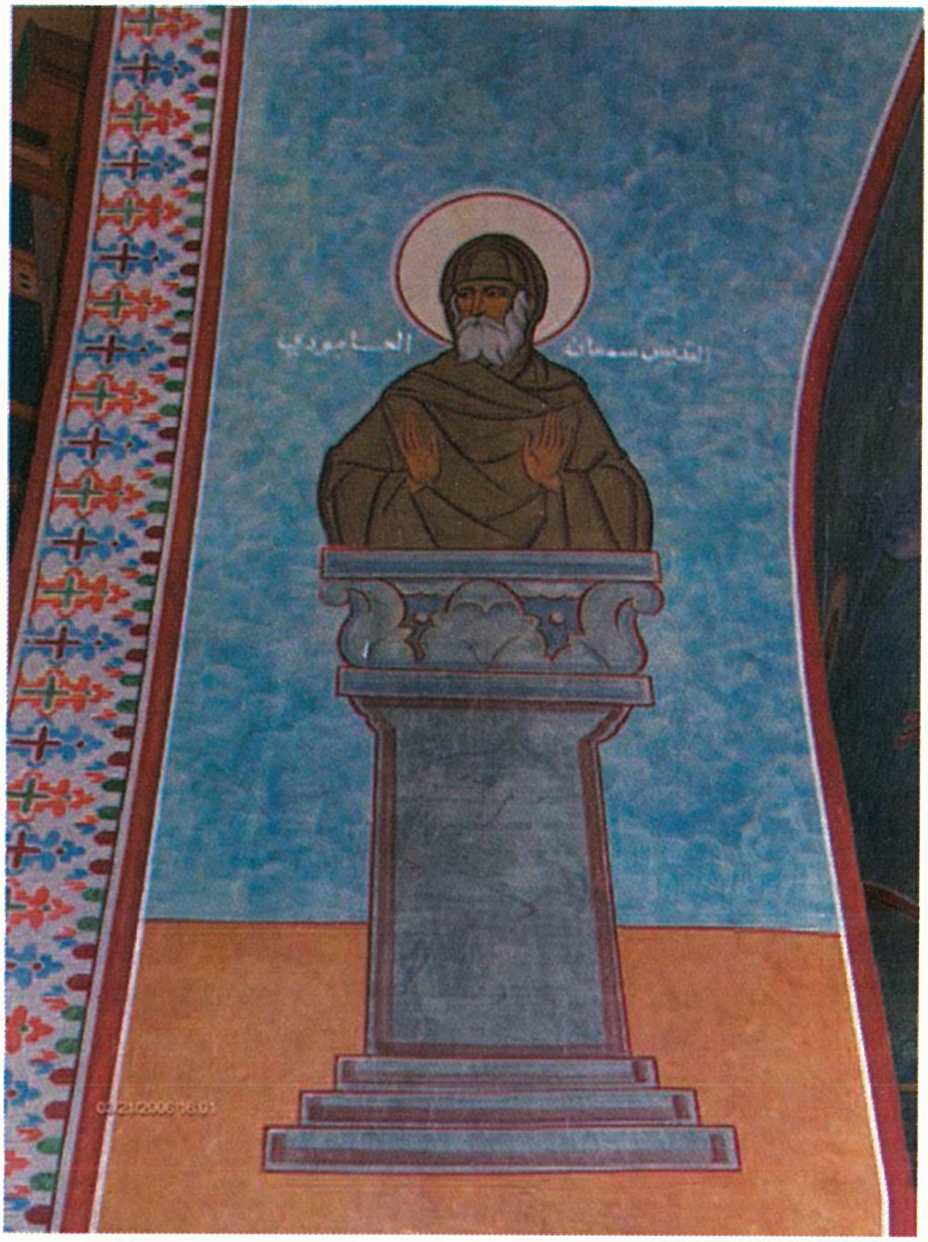


**الشكل رقم 4، جزء من جدارية كنيسة طيبة الإمام**

- سمعان بن أبولون وبارهتار باعودان اللذان كتبا بالسريانية حياة معلمهما، بالإضافة إلى حياة العمودي دانيال التي تلقي أضواء على حياة القدّيس سمعان، واستقبل رفاته حين نقلها إلى القسطنطينية أيام الامبراطور ليون.
- ثيودورت أسقف كيروس الذي كتب عام 444 ب.ت. سِيَر العديد من رهبان منطقته، وشاهد القدّيس سمعان على عموده مرات عديدة خلال زيارته لكنائس كهنة رعيته.

مُلخص هذه السير الثلاث؛ بحسب ما ورد فيها:

مكان مَهد الناسك والواعظ سمعان كان قرية سيس أو سيسان في جنوب شرق منطقة كيليكيا، الواقعة بالقرب من بلدة **نيكوبوليس**، القريبة من مدينة أضنة اليوم. ولادته تقريبا في العام 388 بعد التقويم المتعارف عليه. والده كان راعيا. بعمر الـ 13 انضم إلى دير قريته الصغيرة **سيس** وبقي فيها حوالي السنتين، ثم قضى 10 سنوات في دير شهير بالقداسة والفلسفة هو دير برج السبع القريب من **دير تلعدا** في السفح الجنوبي لجبل الشيخ بركات وبعدها انتقل إلى دير هيليودوروس -Heliodorus- ( تل عادة) اليوم.

في هذه المدة الزمنية يقال إنه اكتشف طريقة حياته اللاحقة وأصبح في محيطه الاجتماعي الديني معروفا ومشهوراً، وذلك بسبب سلوكه وطريقة رهبنته المختلفة غير العادية وغير المألوفة عن باقي زملائه النسّاك والرهبان. يروى بأن حياة وسلوك السيد المسيح الإيمانية كانت قدوته وشعلته ومصباح دربه وطريقه المختار ومثله الأعلى بكل شيء، خاصة بالجانب المتعلق بتحمل العذاب والشقاء والمعاناة وآلام الآخرين والصبر (؟).

على الأرجح وبسبب شهرته المبكرة هذه، رحل من موطنه الصغير هناك في العام 412 ب.ت. إلى بلدة تيلانيسوس -Telanissos- (قرية سمعان اليوم)، التي قضى فيها معظم حياته الباقية.

هذه البلدة ساعدته بشكل كبير على انتشار اسمه في جميع أرجاء المعمورة التي تيمنت باسمه بعد هذا التاريخ. هذا كان بفضل موقعها الاستراتيجي الواقع ما بين محاور وتقاطع الطرق الرئيسة بين مربع المدن الكبرى في المنطقة: أنطاكيا في الغرب، وبيرويا (حلب) في الشرق، وكيروس (النبي هوري) في الشمال وأفاميا في الجنوب.

على الأغلب ضاق المكان بزوّاره لمشاهدته عن كثب، وذلك ليروا بأمّ أعينهم طريقة تنسّكه وعيشه القاسية والشاقة والمعذبة، وأيضا ليسمعوا بشكل حَيّ مواعظه وخطبه الدينية المؤثرة[1]، فغادر البلدة وأخذ لنفسه مكانا مناسبا على قمة المرتفع الصخري القريب من شمال البلدة، والعيش في العراء التام. هناك بدأ حياة النُسّاك الفعلية بالزهد والتقشف والترفع عن الاحتياجات البشرية الدنيوية، وبعد هذه النقلة النوعية في حياته، ومن ثم تبوّئه عموداً صخرياً يخدمه كمنبر ومنصة للوعظ والصلاة والصيام، ذاع صيته واسمه بشكل سريع ومذهل خارج منطقة مَهدِه وشبابِه وأبعد من وطِنه الأم وما بعد حدود وتخوم الدولة البيزنطية الواسعة المترامية الأطراف.

من هنا بدأت حركة الزوّار والمؤمنين والحجّاج بالوفود والحجّ أفواجاً إليه لرؤيته وسماعه، وأخذ التبرّك منه والتشفّع به، ورؤية ومشاهدة طريقة حياته غير العادية للعوام والمدهشة بمظهرها.

يصح القول أيضاً إنه من هنا بدأت شهرته وصيته تتوسع وتذاع خارج نطاق منطقة فعله وعيشه؛ وذلك بسبب هذه الطريقة الغريبة وغير المألوفة في الصلاة والصيام، وبالوعظ والرهبنة والعيش على عمود عالٍ؛ وبنهجه المميز بالتعبّد، ومواعظه الدينية اللاهبة والمؤثرة في الجموع، ولا شك بشخصيته الكارزمية القوية والمؤثرة التي أثارت إعجاب ودهشة الناس المقيمين والحاجّين والوافدين والمسافرين والمترحلين وأخيراً، وليس آخراً الفضوليين.

والأغرب أيضاً بطريقة حياته المعيشية اليومية المنفردة، حيث كان يقيم على قمة رأس العمود الصخري لا يبارحه صيفاً شتاء، صحواً

---

(1) حسب شهادة صديقه ومؤرّخه أسقف كيروس كان له شخصية خطابية وبلاغية مؤثرة جدا. كان يملك كاريزما/Charisma قوية!

مطراً، قيظاً برداً، يقتات بما قلّ من الغذاء. يُحكى بأن شمّاسه كان يزوّده بالغذاء اللازم والشراب الضروري وذلك بواسطة سُلّم يصله لتاج وقمة العمود (الشكل رقم 5[1]).

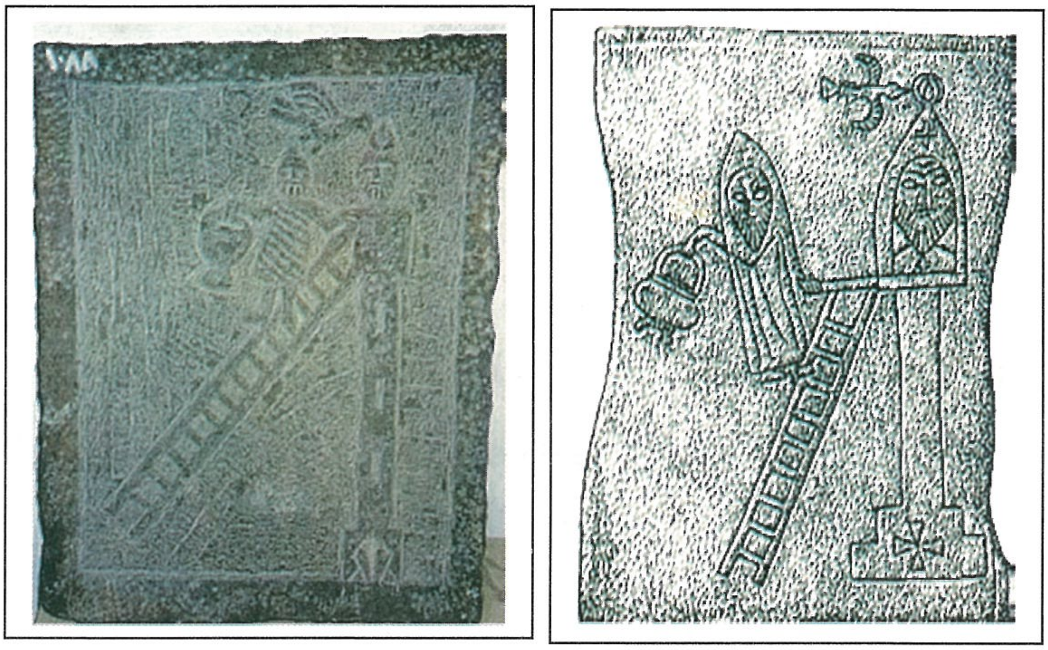

**(الشكل رقم 5)، رسمة لمنحوتة حجرية، والصورة لبازلتية معروضة بمتحف حماة الوطني**

على هذا العمود (الشكل رقم 6) قضى الناسك سمعان حسب الروايات المتعددة أكثر من ثلاثين عاما من عمره. ومن على قمته، التي كانت تخدمه كمنصة ومنبر كان يَعظ ويصلي بقاصديه وزائريه وحاجّيه بكل ما كان يملك من طاقة، محاولاً تحقيق آمالهم التي يطالبون بها بإيمان وتعبّد.

(1) رسمة لنقش حجري والأخرى منحوتة بازلتية من القرن السادس ب.ت.، معروضة في متحف حماة الوطني (تصوير المؤلف).

**الشكل رقم 6، أيقونة خشبية**

وبحسب المصادر السريانية فإن القدّيس سمعان أمضى 37 سنة على العمود حتى وفاته، بينما تذكر المصادر اليونانية بقاءه 42 سنة عليه. إذ يذكر ثيودورت أسقف كيروس الذي كتب "التاريخ الديني" عام 444 بعد التقويم المتعارف عليه، أنه شاهد القدّيس سمعان على العمود للمرة الثامنة والعشرين. وبناء على أن وفاة القدّيس سمعان كانت عام 459 فهذا يعني أنه بقي 42 سنة على العمود.

الشيء المؤكد، اعتماداً على تقاطع أرقام سني تنسّكه وتعبّده بعضها ببعض، يُجزم بأنه عاش وقضى سنوات طويلة من عُمره الواحد والسبعين المفترض على العمود الصخري.

وفاته مؤرّخة بـ 24 تموز من العام 459 بعد التقويم المتعارف عليه. بعدها أُخذ جثمانه إلى مدينة أنطاكيا ومن ثمّ إلى العاصمة الامبراطورية القسطنطينية؟

لا أثر لمرقده حتى يومنا هذا!!.

مباشرة وبعد نقل رفاته إلى أنطاكيا (وذلك تحت حماية 600 جندي) ومن ثم إلى القسطنطينية حيث الروايات الرسمية حيث دفن (لهذا التاريخ لا يعرف بالضبط أين بقيت رفاته)، توافد المؤمنون إلى مكان فعله وعيشه بشكل غزير، وبدأ كل واحد منهم على حِدة بأخذ قطعة وجزء من العمود الحجري كتذكار قيم وكتميمة وطلسم. وعلى مرور الزمن الطويل لم يبق منه إلا جزء بسيط ليومنا هذا، هو القاعدة ومصطبتها، تقريبا حوالي المترين (الشكل رقم 7).

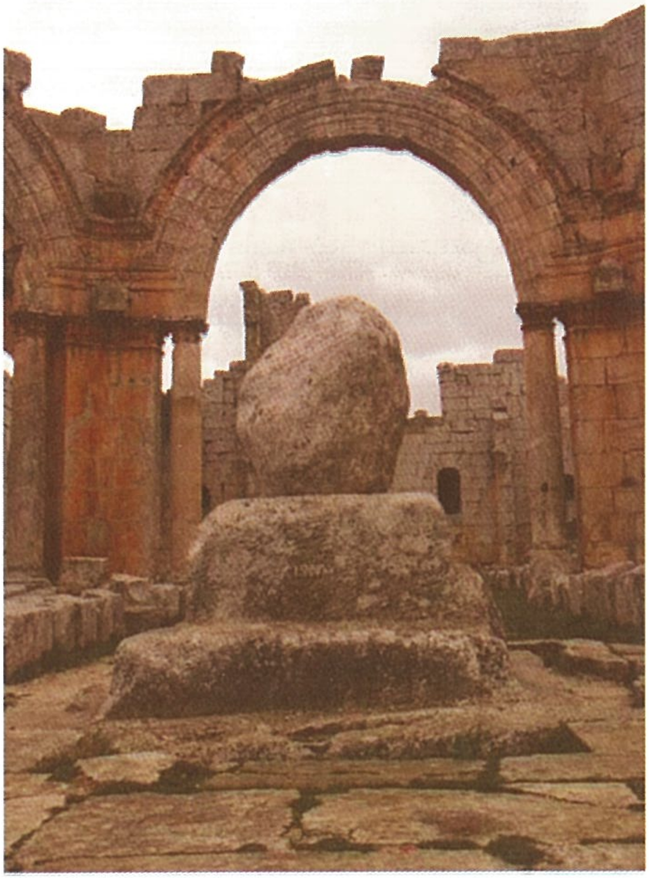

**الشكل رقم 7، بقايا العمود اليوم**

بعد وفاته أصبح رمزاً دينياً مقدّساً بالعالم المسيحي آنذاك، وقد اكتسبت المنطقة بفضله شهرة واسعة وأهمية كبرى ومكانة دينية مقدّسة.

الأول من شهر أيلول يعتبر عيده الديني السنوي.

ليومنا هذا يؤمه المؤمنون في هذا اليوم، وخاصة الشباب ومن مقتبلي العمر والسن (الشكل رقم8)!

**الشكل رقم 8، جموع حجيجه في يومه السنوي مع القدّاس في الكنيسة الكبرى وفي الهواء الطلق**

القدّيس سمعان السوري العمودي يعتبر بحق رائد وباعث طريقة النسك والتعبّد العمودية، التي ذاع صيتها آنذاك وأخذت طريقها ودربها ببدايات هذه الديانة السماوية المشرقية بالانتشار والتوزع والتأثر.

هذا النهج المختلف والمميز في التعبد والوعظ والحياة على عمود أثر بشكل هائل في كثير من الرهبان العموديون الذين أتوا من بعده، وأصبحوا من أتباع هذه الطريقة الدينية التعبّدية الخاصة (الشكل رقم 9)، الذين لقّبوا وسُمّوا بـ «شهداء أيام السلم»، بعكس شهداء الاضطهاد في العصر الروماني.

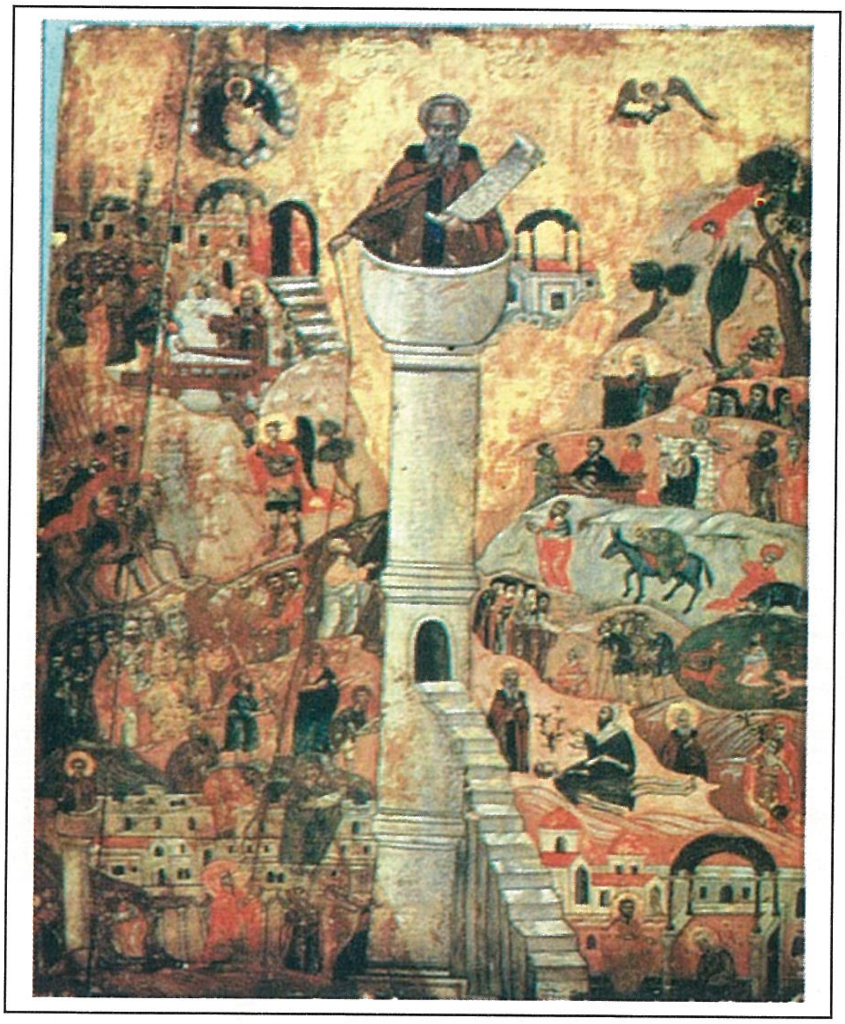

**الشكل رقم 9، أيقونة تمثل سمعان العجائبي في سمن داغ - تركيا- الذي توفي في عام 592 ب. ت.**

بنهجه المميز غير الاعتيادي وغير المألوف هذا، نال القدّيس سمعان السوري، إلى جانب المؤمنين المسيحيين، إعجاب واحترام وتقدير الناس والبشر من بلاد وأمصار وأقطار بعيدة! وكان يأتيه الحجّاج والزوّار من بلاد الفرس وأرمينيا وجورجيا وجنوب شبه الجزيرة العربية وتراكيا (الطرف الأوربي من تركيا وقسم من بلغاريا اليوم) وإسبانيا وإيطاليا وبلاد الغال (فرنسا) والجزر البريطانية. ومن الثابت تاريخيا عن مخطوطة عن حياة القدّيسة جنفياف شفيعة مدينة

باريس الفرنسية (لوتيسيا) كُتبت بعد 20 عاماً فقط من وفاتها، أن القدّيسة جنفياف كانت ترسل للقدّيس سمعان تحياتها مع التجار الغاليين (الفرنسيين) القادمين إلى سوريا.

## 5- التطوّر المعماري التاريخي للموقع:

يقسم الموقع إلى قسمين: **القريـة/البلـدة** و**المزار/القلعة** (الشكل رقم 10).

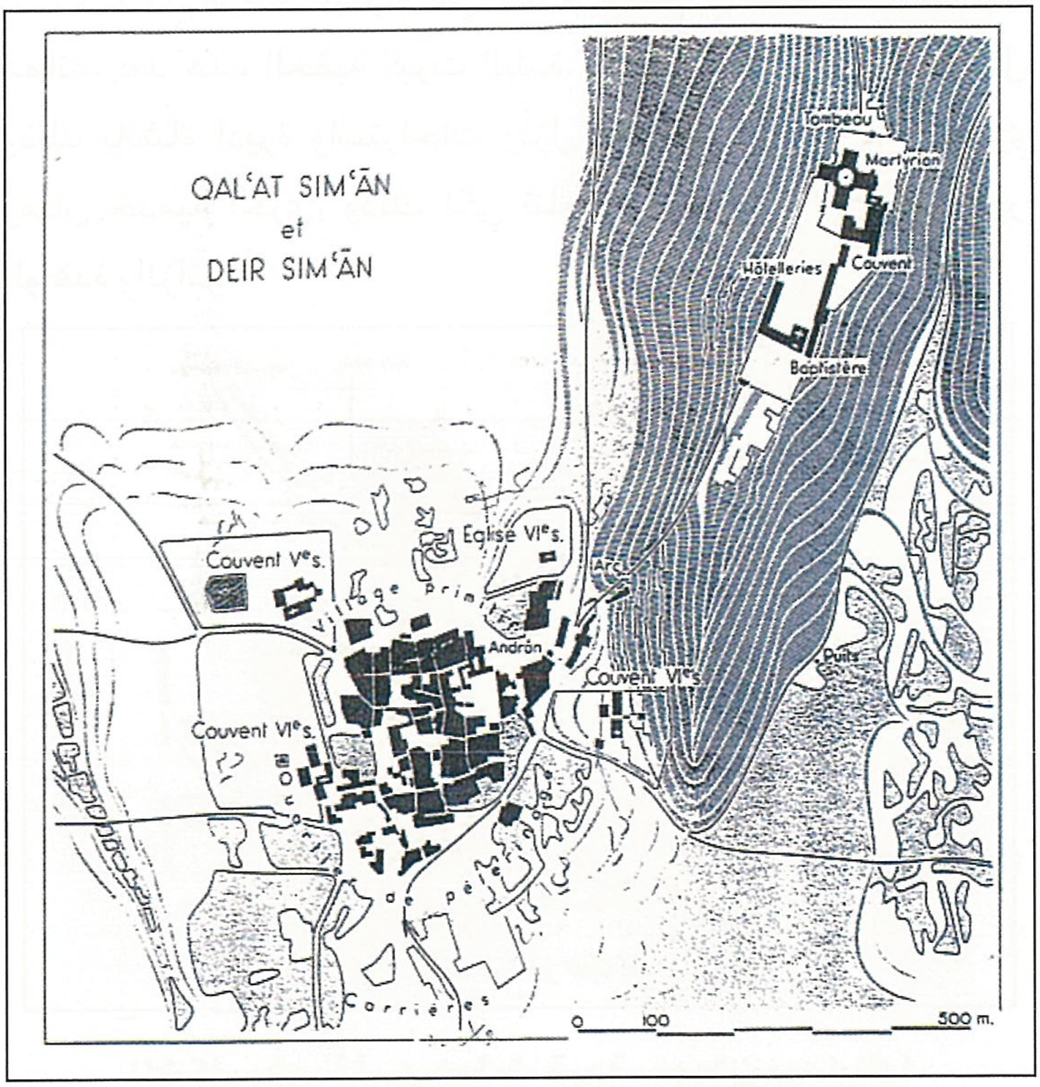


**الشكل رقم 10، مخطط الموقع**

5.1- **البلـدة** بمراحلها البنائية والإنشائية المتعددة (الشكل رقم 11):

5.1.1- مرحلة ما قبل قدوم القدّيس نفسه. في هذه المرحلة كانت المستوطنة صغيرة نسبيا. فيها دير وكنيسة صغيرة وعدة معاصر لزيت الزيتون.

5.1.2- مرحلة نزوح القدّيس إلى المرتفع الصخري في شمال البلدة. هنا بدأت فترة التوسع العمراني الاستيطاني للقرية لكي تأخذ مع مرور الزمن شكل البلدة الريفية.

5.1.3- مرحلة شهرته في أعوام حياته الأخيرة وفترة ما بعد مماته. بعد هذه الحقبة كبرت البلدة، وتوسعت بشكل ضخم وهائل، وذلك بإنشاء أديرة واستراحات ونُزل وأشكال فنادق وسوق تجاري ومبانٍ خدمية أخرى، وذلك لكي تتناسب وتستوعب الأعداد الكبيرة الوافدة والزائرة.

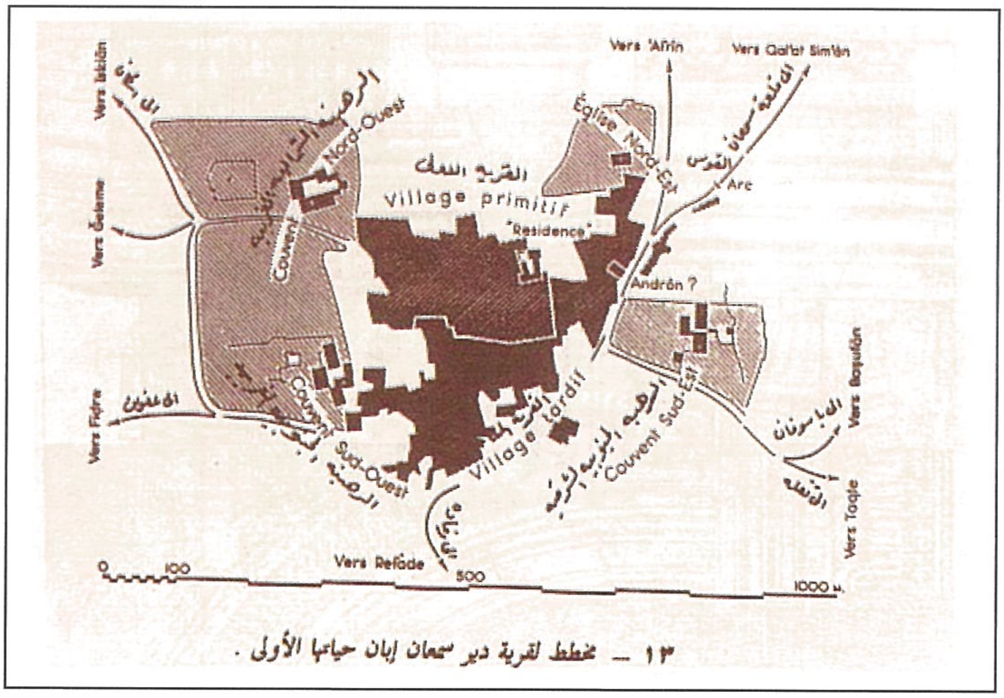


**الشكل رقم 11، مخطط قرية سمعان ببداياتها**

هذه الأبنية والمنشآت كلها بُنيت وشيّدت في نهاية القرن الخامس واكتمُلت بشكل كبير وباهر، وأضيف عليها، خاصة البازيليكا المصلّبة

حول العمود ومصطبتها في منتصف القرن السادس بعد التقويم المتعارف عليه. وهذا كان في عهد القيصر جوستينيان البيزنطي الأول (حكم 527 – 565 ب.ت.).

5.2- **المزار/القلعة** بمراحله المعمارية والتوسعية المتعددة (الشكل رقم 12):

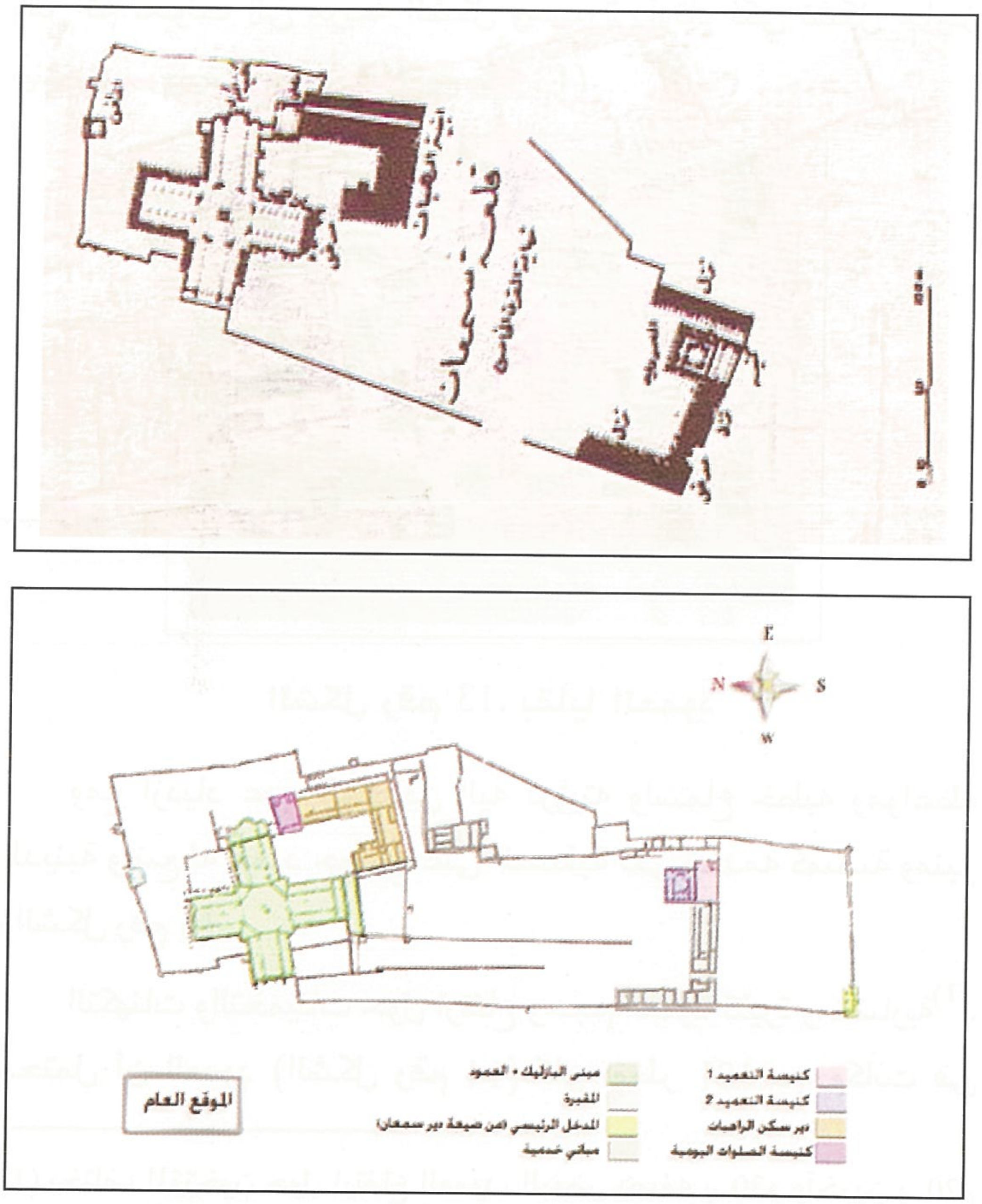


**الشكل رقم 12، مخططي المرتفع الصخري مع أبنيته**

قلب ولب الموقع والمزار هي المصطبة الصخرية التي أصبحت فيما بعد قاعدة للعمود الصخري الكلسي. هي والعمود يشكلان النقطة الرئيسة والأساسية التي بنيت لاحقا حولها الكنيسة المصلّبة. المصطبة ولاحقا العمود الذي رُكّز على القاعدة الحجرية. نحتت جميعها من النتوء الصخري الكلسي وكانت بشكل دائري في البداية على الأرجح. ومن ثم تحولت إلى مربعة الشكل ومسورة بأوتاد لكي تشكل حاجزا بينه وبين زوّاره الكثيرين (الشكل رقم 13).

**الشكل رقم 13، بقايا العمود**

ومع ازدياد عدد الوافدين إليه لرؤيته ولسماع خطبه ومواعظه الدينية وضع له عمود حجري على المصطبة لكي تخدمه كمنصة ومنبر (الشكل رقم 6).

التكهنات والتخمينات حول ارتفاع وحجم العمود كثيرة ومتضاربة[1]. محتمل أن العمود (الشكل رقم 14) كان بقطر 101. م، وكانت في

(1) يختلف المؤرّخون حول ارتفاع العمود، البعض يصفه بـ 30م وآخرين بـ 20م و 17-18م. ولكن قياسا على حجم القطعة الباقة اليوم مع حساب قطر القاعدة ومنطقية قوة سمع الإنسان من مرتفع علو غير مغطى وغير محمي

نهاية القسم العلوي منه قاعدة خشبية تمتد مسافة 500. م خارج العمود من كل جهة منه، أي بقطر 102. م، يحيط بها درابزون بارتفاع حوالي المتر، تتيح بمساحتها للقدّيس إمكانية الحركة والتمدّد والنوم أعلى العمود. وكانت مزوّدة بدورة مياه تتصل عن طريق أنبوب شاقولي من الفخار بالحفرة الفنية القريبة من قاعدة العمود إلى الغرب منه. كما كان هناك غطاء علوي من أغصان شجر النخيل يحمي القدّيس من الشمس والمطر والثلوج.

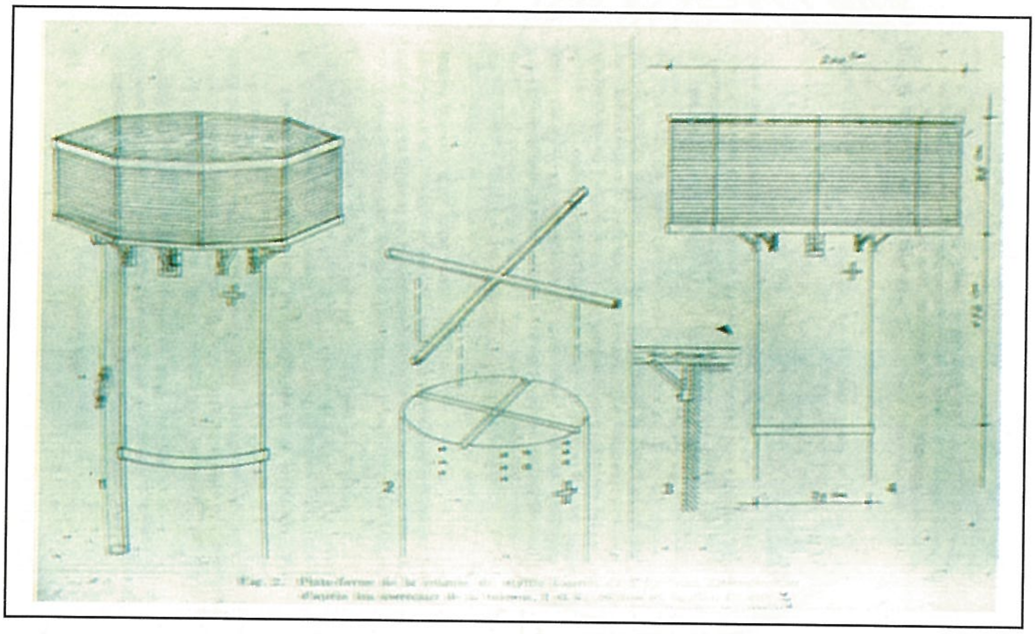

**الشكل رقم 14، مخطط العمود وتاجه**

تبيّن الذخائر والتمائم (الأولوجي) التي كان الحجّاج يبتاعونها ويقتنونها في الموقع ويحتفظون بها تذكاراً وتبركاً لزيارتهم، وهي عبارة عن قطع من الفخار أو الزجاج بقطر حوالي 3 سم، رسمت عليها صورة القدّيس فوق عموده، وبالقرب منه سلم يستند على العمود لتأمين وصول صاحب الحاجة إلى القدّيس (الشكل 15).

---

من الريح والهواء لخطيب من هذا العلو فهو من الجائز أن العمود كان بارتفاع يتراوح بين الـ5-10م؟

**الشكل رقم 15،**
**تمائم نذرية**
**للحجّاج والزوّار**

كما أن هناك لوحات أخرى تبين وجود السلم الطويل والذي يعتقد أن جزءا منه كان ثابتاً، بينما جزؤه العلوي كان متحركاً، يمكن إزاحته لتأمين راحة وخصوصية الناسك العمودي (الشكلين رقم 5 و6 السابقين).

بالمقارنة مع أعمدة نسّاك آخرين (الشكل رقم 9) والتي لا زالت بعضها مرمية على الأرض وهي بكامل أجزائها (منها عمود الناسك المجهول في بلدة كيمار[1] القريبة والواقعة إلى الشمال الغربي من قلعة

---

(1) *«حبّذا لو يدخل موضوع إعادة نصب عمود ناسك كيمار الكامل كما كان مع تأمين الشرفة الخشبية لإقامة الناسك في أعلاه مع أعمال الترميم التي*

سمعان) استنتجت المعلومات عن هيئة وبعض التفصيلات عن العمود منها منصة مكان إقامة الناسك، وطريقة التثبيت مع القاعدة الضخمة التي كان يستند إليها العمود مع فتحة فيها لإمرار أنبوب دورة المياه من مكان إقامة الناسك إلى الأرضية حيث الحفرة الفنية قرب القاعدة.

حسب شهادة المؤرّخ علي أبو بكر الهروي المدفون عام 1207 بعد التقويم المتعارف عليه جنوب حلب في ضاحية المعادي، مؤلف "كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات" والمحقّق من قبل الباحثة الفرنسية جانين سورديل - طومين. بالعربية، ويقول في حاشية الصفحة 5 منه: *«غرب حلب دير سمعان فيه آثار عمارة لا يمكن أن يكون في الآفاق مثلها وفي وسط الدير قطعة عمود ينفع للحمّى إذا أخذ من حكاكة الحجر على اسم المريض ويُنذَر له شيء فإنه نافع مجرّب...»*. يفهم من شهادة علي الهروي أن دير سمعان في نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر كان ديرا بَعد معمراً، ومازال يقصده الحجّاج ويكسرون قطعا من العمود يتناولون حكاكتها للشفاء من أمراض مختلفة!

بعد ممات القدّيس سمعان بُني حول المصطبة مبنىً كبير أخذ هيئة وشكل الصليب. مع مرور الزمن أضيفت إلى المزار والمقام عدة مبانٍ أخرى. جميع المباني، بما فيها الكنيسة المصلّبة زينت وزخرفت بشكل لائق بمقامه ومكانته الروحية الإيمانية، التي تجاوزت سمعته خارج وطنه آنذاك.

قمة شهرته كانت بشكل خاص في القرن السادس بعد التقويم المتعارف عليه وبعد (ألشكل رقم 16)، في هذه الفترة حُسّن المزار،

---

*ستتم في قلعة سمعان مستقبلاً»*، أمنية الزميل العزيز المهندس عبد الله حجار الشفهية لِمعدّ هذه الدراسة.

ووسّع بشكل كبير وهائل. بهذه الحقبة أمّته أعداد كبيرة جدا من الحاجّين والوافدين والزائرين، الذين قدموا من جميع مناطق البحر الأبيض المتوسط بالإضافة إلى مناطق الفرات والشرق الأدنى!

**الشكل رقم 16، جدارية من دير مار موسى الحبشي، شرق بلدة النبك، مؤرّخة في القرن الثاني عشر بعد التقويم المتعارف عليه**

### 1.2.5. بقايا المزار والمقام اليوم:

1: سور القلعة الخارجي مع الأبراج المرصوصة بالأحجار الكبيرة هي من العصر البيزنطي، القرن العاشر (الشكل رقم 17).

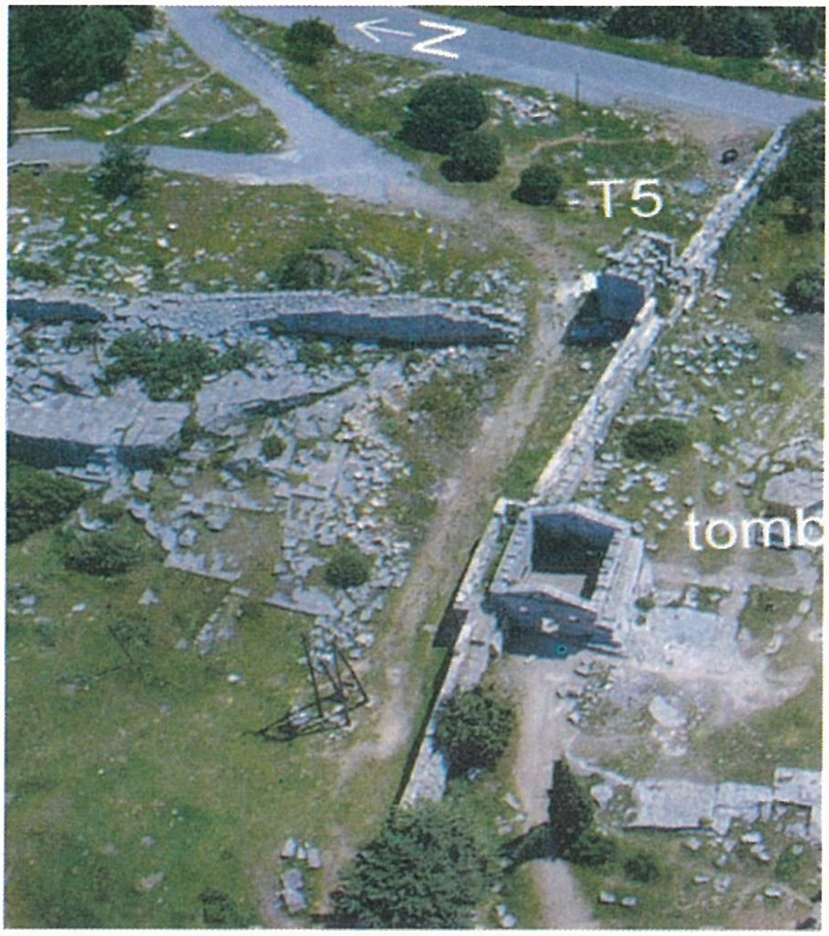


**الشكل رقم 17، يظهر السور الدفاعي الشمالي مع مقبرة الرهبان**

2: البوابة الرئيسة الواقعة في الجنوب، أجزاء من الكنيسة المعمودية مع القبلة/الحنية Apse المثمّن، وفي داخله الجزء المبني والمكمل لحوض التعميد مع المدخلين والأرضية الفسيفسائية.

3: أجزاء شبه كاملة من الصرح المعماري حول المصطبة، وهي الكنيسة المصلّبة بأضلاعها أو أجنحتها الأربعة مع الأبنية الملحقة، والمدفن الجماعي للقساوسة والرهبان في شمال المبنى الكبير. أيضاً أمكنة المقالع الحجرية، الأولى في الجهة الشمالية القريبة من طرف السور الشمالي والثانية بالقرب من المدخل الأساسي، في نهاية الدرب المقدّس، في الطرف الجنوبي للمزار.

### 5.2.2. المراحل التاريخية التسلسلية لبناء المزار/القلعة:

- لأعوام خلت، شكّلت المصطبة والعمود الهدف الرئيس للحجّاج، حتى بُدئ ببناء كنيسة احتوت وضمت العمود الذي أخذ شكل وهيئة الصليب. وهذا كان في عهد الامبراطور زينون (حكم بين 474-491 ميلادي) (الشكل رقم 18).

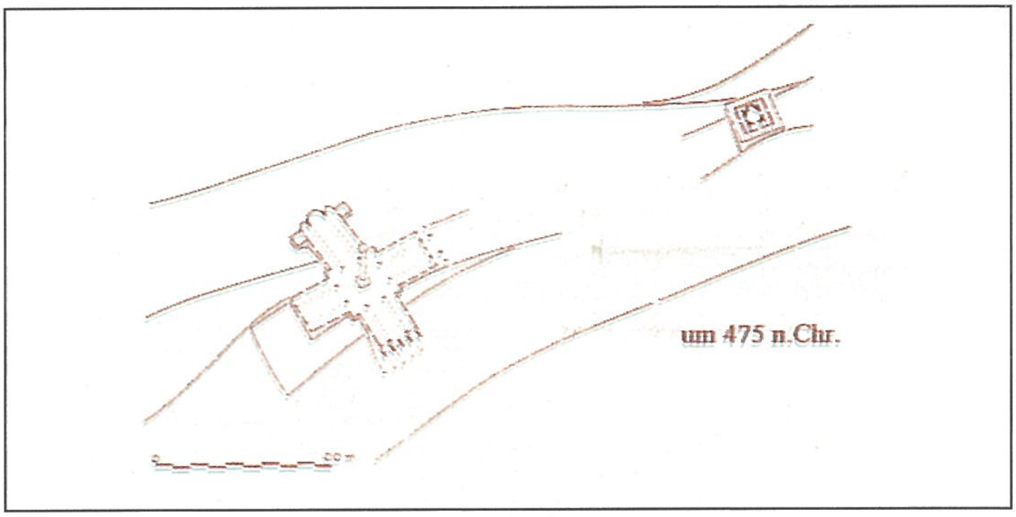


**الشكل رقم 18، مخطط للكنيسة المصلّبة والمعمودية**

- في نهاية القرن الخامس ب.ت. أضيف إلى الموقع نزلان للزوّار، ومبانٍ للرهبان المقيمين والمسؤولين عن المحَجّ والمشرفين والراعين عليه (الشكل رقم 19).

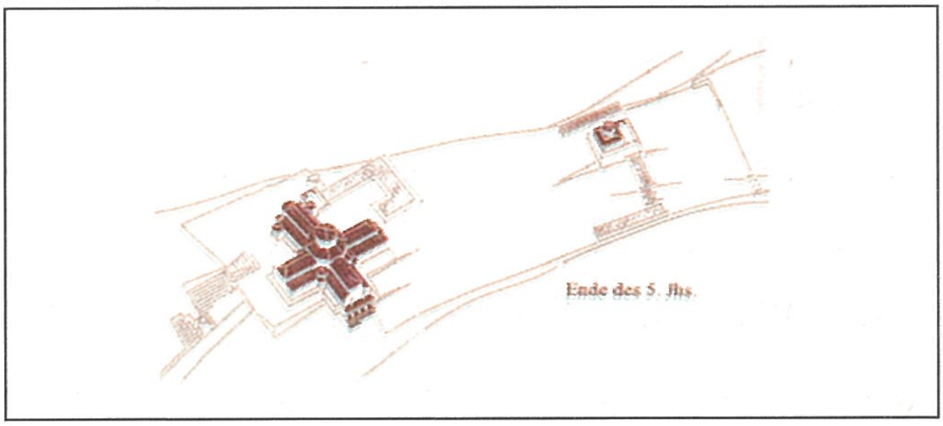


**الشكل رقم 19، مخطط لتطوّر الكنيسة المصلّبة والمعمودية**

- بعد هذه الإضافات والتحسينات مباشرة ضرب زلزالان مدمران (في الأعوام 526 و528) منطقة شمال غرب سوريا. هذان الزلزالان القويان ألحقا بمدن المنطقة الكبرى مثل حلب وأنطاكيا، وبالأخص منطقة جبل سمعان أضرارا جسيمة وفادحة. قوة وتأثير هذين الزلزالين طالت مباني القلعة وبالأخص مبنى الكنيسة الكبرى وجميع ملاحق المزار المعمارية عموما.

- بعد هذه الكارثة الطبيعية أعيد بناء الأجزاء المتصدعة والمهدمة، وعلى خلفيتها وُسّع المزار ببعض المباني مثل مدفن الأساقفة في شمال الكنيسة الكبرى وإسطبلات للرواحل (الشكل رقم 20).

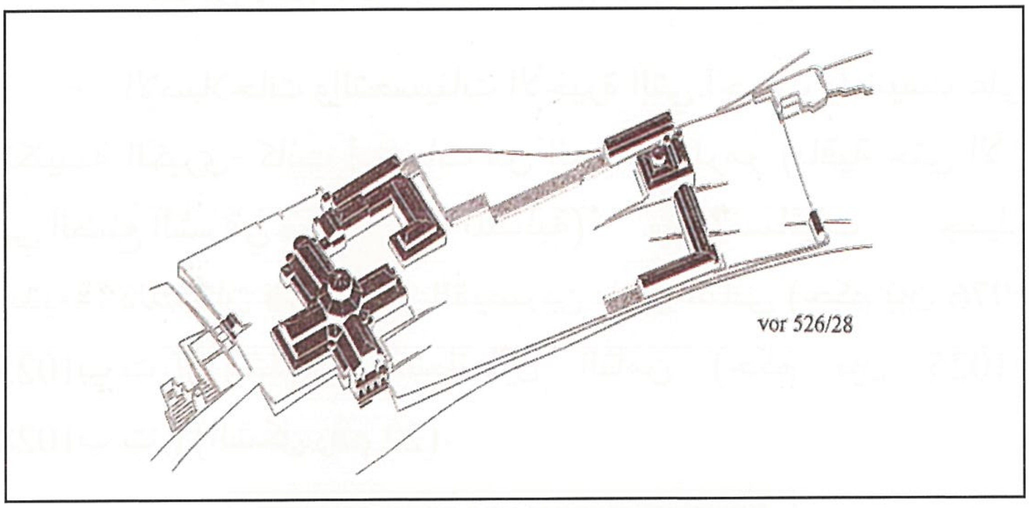


**الشكل رقم 20، مخطط المزار**

- ذلك كان في عهد القيصر جوستينيان (باني كنيسة آيا صوفيا في القسطنطينية، اسطنبول اليوم)، وهو الذي أمر، على الأرجح في الأعوام 547546/ ميلادي، بإعادة وإعمار كل ما تضرر وتهدّم وخُرب في سوريا نتيجة الزلزال المدمر، مثل: حلب، أنطاكيا، أفاميا والرصافة، وأخيراً، وليس آخراً، بتجميل وزخرفة وتحسين عمارة مزار القدّيس سمعان وخاصة كنيسته المصلّبة (الشكل رقم 21).

إلى جانب ذلك أمر أيضا بتوسيع وتكبير جميع الأبنية المهمة في امبراطوريته الواسعة.

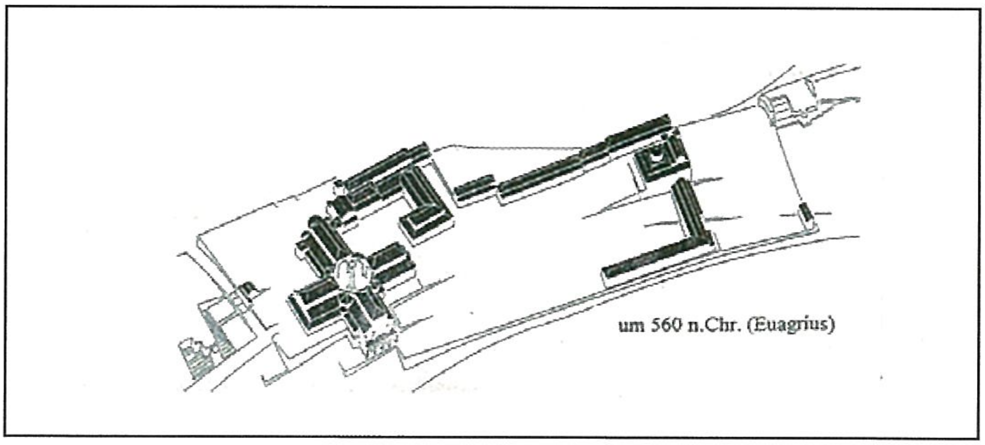


**الشكل رقم 21، مخطط الإضافات على المزار**

- الإصلاحات والتحسينات الأخيرة التي أجريت وأضيفت على الكنيسة الكبرى- كانت أرضيات من الرخام والمرمر (باقية حتى الآن في الضلع الشرقي من الكنيسة المصلّبة) وفسيفسائيات جميلة وبديعة. ذلك كان في عهدي القيصرين بازيل الثاني (حكم بين 976-1025ب.ت.) وشقيقه قسطنطين الثامن (حكم بين 1025-1028ب.ت.) (الشكل رقم 22).

**الشكل رقم 22، جزء من فسيفساء أرضية الضلع الشرقي للكنيسة المصلّبة**

- بعد وقوع المنطقة السورية، وذلك حتى تخوم جبال طوروس من ناحية الشمال، بأيدي القوات العربية المسلمة (القرن السابع) أصبحت منطقة جبل سمعان والمناطق المحيطة بها جزءاً من إدارة ومهمة والي مقاطعة سوريا. العرب المسلمون، كعادتهم المبنية على التسامح الديني الخالص، تركوا شؤون الكنائس والمزارات الدينية بيد أصحابها السوريين المسيحيين.

- في نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر بعد التقويم المتعارف عليه، بدأت الدولة العربية الحديثة بقيادة السلالة العباسية ببغداد بالضعف والوهن مما أدى إلى استقلال مقاطعات ونشوء سلطنات سياسية جديدة. هذا الوضع استُغل من قبل البيزنطيين الذين قاموا باحتلال مناطق متعددة من سوريا الطبيعية ومنها موقع مزار القدّيس سمعان. على إثرها مباشرة قام البيزنطيون بتحصين المزار عسكريا، وذلك ببناء سور عريض من الأحجار الكبيرة المرصوصة فوق بعضها البعض، مدعومة بأبراج للمراقبة حول كل المباني ومنها الكنيسة الكبرى والأديرة التي حولها. بذلك أخذ الموقع شكل قلعة دفاعية عسكرية. بعد هذه الفترة بدأت تدريجيا تعرف باسم **قلعة سمعان**!

- في العام 986/985 انتزعت القلعة من أيادي وحكم البيزنطيين بواسطة الأمير الحمداني سعد الدولة ابن سيف الدولة، أمير حلب. حُكم الحمدانيين لم يدم طويلا فيها، ففي العام 1017 تمكن الفاطميون القادمون من مصر بانتزاع القلعة منهم، بعد أن فرضوا سيطرتهم على كل مناطق شمال سوريا.

- القلعة فقدت أهميتها العسكرية بعد هذه الفترة مباشرة. مع مرور الزمن تضرر، وتعرض موقع المزار بشكل متفاوت للإهمال

وللتهدم والخراب. هذا كان بسبب نتيجة عدم الاستقرار السلمي الأمني لقرون طويلة في المنطقة الذي أدى بالتالي لعدم وفود حجّاج وزوّار للموقع والمكان، إضافة لانقطاع التواصل مع المنطقة البيزنطية الأناضولية والأوربية وبتوقف الحركة التجارية معها، وخاصة توقف عملية تصدير زيت الزيتون والنبيذ، والذي سمح كنتيجة حتمية لذلك بعدم ورود دخل مادي ومالي، وهذا ما أدى إلى انهيار اقتصادي وفقر وبؤس لها؛ وكنتيجة لها انخفاض بعدد ولادات سكانها، مما حفز الأهالي والسكان الباقيين للهجرة التدريجية بحثاً عن قوت حياتهم وتحسين عيشهم، وهذا قاد بالتالي لعدم وجود الكوادر البشرية والإمكانيات المادية الكافية للصيانة الدورية اللازمة للأبنية. أيضا تسببت العوامل الجوية والمناخية إلى جانب وقوع الزلازل الصغيرة التي تحدث بين الحين والآخر بتصدّع وخراب الأبنية داخل المزار.

- حسب الدكتور شوقي شعث استخدم القسم الشرقي من المبنى الكبير، في فترة القرن السادس عشر، كمسكن لأحد الآغوات الأكراد.

- في نهاية القرن التاسع عشر زارها رحّال فرنسي اسمه ماركيز دو فوجيه Marquise de Vougue ووصفها بشكل مفصل؛ مهندسه المعماري المرافق له (E. Duthoit) قام برسم الموقع بشكل باهر، ووضع مخططات له (الصورة والرسمة في الشكل رقم 23).

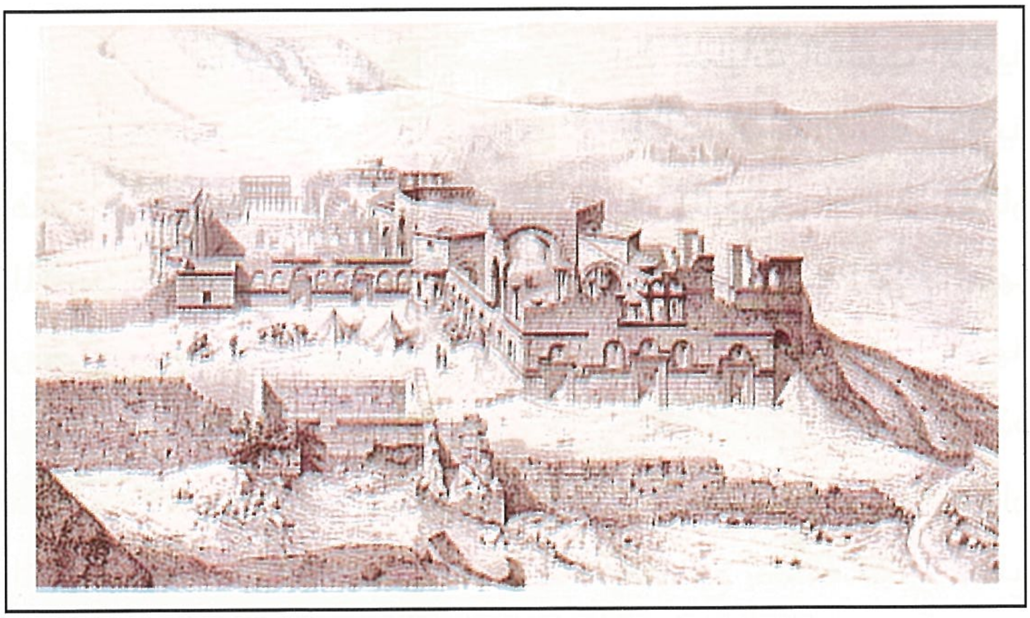

**الشكل رقم 23، رسمة قديمة وصورة حديثة**

- في الأعوام 1904-1905 زارت الموقع بعثة أمريكية من جامعة برنستون برئاسة هوارد بتلر (Howard C. Butler)، التي فحصت ودرست الموقع على الأرض. هذه الدراسة نشرت ضمن بحث يتعلق بالعمارة القديمة في سوريا، ونشرتها في مدينة لايدن في هولندا، وذلك في العام 1920 (Butler, Ancient Architecture in Syria, publi:ation of prinston university expedition to Syria in 1904- archaeological 195.Djabel Siman. Leyden 1920).

- مجموعة من الباحثين الفرنسيين قاموا بدراسة معمارية (نماذج الكنائس والبيوت، والمعاصر، إلخ.) لجميع أوابد المنطقة الكلسية في سبعينات وثمانينات القرن الماضي.

- أول عملية ترميم لمزار القدّيس سمعان كانت في العام 1935, في فترة الانتداب الفرنسي، وذلك من خلال عمل الباحث والمهندس المعماري الروسي جورج تشالنكو (George Tchalenko).

- بعد منتصف القرن العشرين بدأت عمليات التنقيب الأثرية في القلعة ومحيطها، وذلك من خلال بعثات أثرية علمية سورية وفرنسية، وذلك تحت إشراف ومراقبة المديرية العامة للآثار والمتاحف. أجرت مديرية الآثار تحسينات كثيرة على الموقع، منها ترميم وتدعيم بقايا الكنيسة المعمودية والملحق المثمّن، كذلك الواجهة الرئيسة للكنيسة المصلّبة وبعض الأبنية الأخرى. إلى جانب هذه الأعمال الترميمية والتحسينية والتدعيمية، وفتح مدخل خاص للزوّار والسيّاح في سور القلعة من الجهة الشرقية مع إضافة مبنىً لقطع التذاكر. بعد المدخل مباشرة بنيت دورة مياه متواضعة مع حجرة صغيرة لبيع المرطبات. أمام المدخل مُهدت ساحة صغيرة مزفّتة لوقوف عدد صغير من الباصات والمركبات السياحية الزائرة.

- مع مرور هذا الزمن العصيب الطويل على المزار، الذي حول أشهر موقع ديني مسيحي قبل ألف وخمسمئة عام إلى خرائب وإطلالات، لم يمنع المؤمنون المسيحيون القاطنون في حلب أو في أنطاكيا أو أماكن أخرى رغم كل هذه القرون المظلمة من القدوم في اليوم الأول من أيلول من كل عام للاحتفال بعيد القدّيس سمعان العمودي، الناسك الأعجوبة الإيمانية (الشكل رقم 8)!

### 5.2.3- كنيسة القدّيس سَمعان:

- إن روعة مخطّط كنيسة القدّيس سمعان العمودي المبنية على شكل صليب حول العمود يكمن في أنه يجمع بأجنحته الأربعة وسقفه الهرمي المثمّن الأوسط نوعي البناء المتميّزين: الكنيسة البازليك ذات الأبهاء الثلاثة التي تفصل بينها الأعمدة والمثمّن الأوسط المعروف في كنائس الشهادة (الشكل رقم 24).

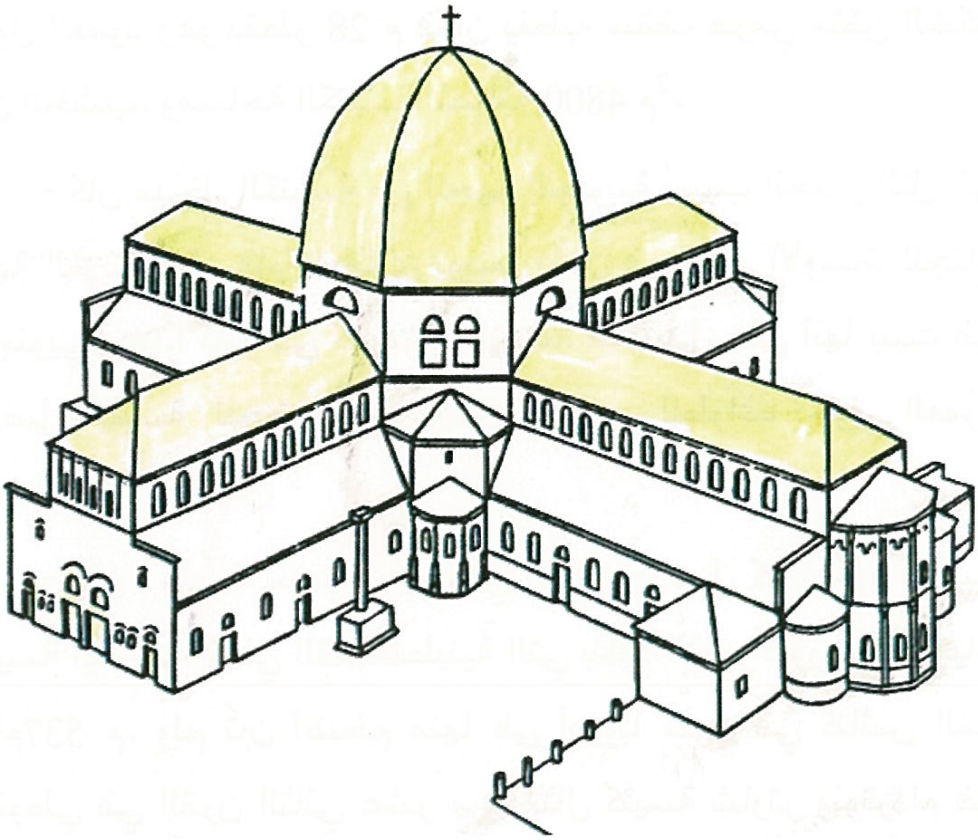

**الشكل رقم 24، مُجسم الكنيسة المصلّبة**

- بعد أخذ رُفات القدّيس سمعان ودفنِه في أنطاكيا ثم نقله إلى القسطنطينية أيام الحاكم ليون الأول (457 – 474 م) الذي كان على معرفة بأهمية القدّيس، جاءت فُكرة بناء الكنيسة.

تمّ بناء الكنيسة بين 476 – 491 برعاية الامبراطور زينون (474 - 491 م)، وجنّد واستخدم لذلك الاختصاصيين والعمال من كل مكان لإنجازها، وذلك بطول 100 م من الشرق إلى الغرب و88 م من الشمال إلى الجنوب، وعرض كل من الأجنحة الأربعة 24 م، ويتألف كل جناح من بازليك ذي ثلاثة أبهاء، تفصل بينها أعمدة البعد بين محوري كل عمودين 53. م، كان الجناح الشرقي الذي انتهى **بالحنية** (Apse) أطولها، وفيه انحراف 432. م نحو الشمال. أما المثمّن الأوسط المنشأ

حول العمود وهو بقطر 28 م فكان يغطيه سقف هرمي مثمّن الشكل من الخشب. ومساحة الكنيسة المصلّبة 4800 م$^2$.

- كان مدخل الكنيسة من الجهة الجنوبية بسبب انحدار التل إلى جهة الغرب. وقد قام المعماري بوضع بابين في البهو الأوسط للجناح الجنوبي، وهذا نادر في كنائس البازليك، مما يدل على أنها بنيت في الأصل كنيسة للحجّاج يدخلون من باب للطواف حول العمود ويخرجون من الآخر.

- بقيت كنيسة سمعان العمودي **أعظم وأجمل** كنيسة بنيت قبل كنيسة آيا صوفيا في القسطنطينية التي بناها الامبراطور جوستينيان عام537 م. ولم تُبن أضخم منها في أوروبا سوى في كنائس الفن القوطي في القرن الثاني عشر من أمثال كنيسة شارتر ونوتردام في فرنسا.

- وكان هناك مجمع من الأبنية مجموع مساحته 12000 م2، ضمّ بالإضافة إلى الكنيسة **المصلّبة ديراً بطبقتين** كان يضم 300 راهب، **وكنيسة بازليك** مجاورة له لإقامة الصلاة اليومية، يضم غطاء عبارة عن قطعة حجر واحدة بديعة الزخرفة كانت تعلو جرن المعمودية للأطفال، **ومقبرة للرهبان** قرب السور الشمالي حفرت في صخرة واحدة لمقاومة أشدّ الزلازل، وضمت 8 نواميس ومغارة أرضية (خشخاشة) لحفظ العظام فيها. **وبناء معمودية** مع ملحقاته بمساحة 2000 م$^2$ يبعد حوالي 300 م إلى الجنوب من الكنيسة المصلّبة لعماد البالغين، ويتألف من غرفة مثمّنة الشكل في شرقها جرن لعماد البالغين ذي درجات نزول وصعود تجاورها كنيسة بازليك صغيرة. (الشكل رقم 25).

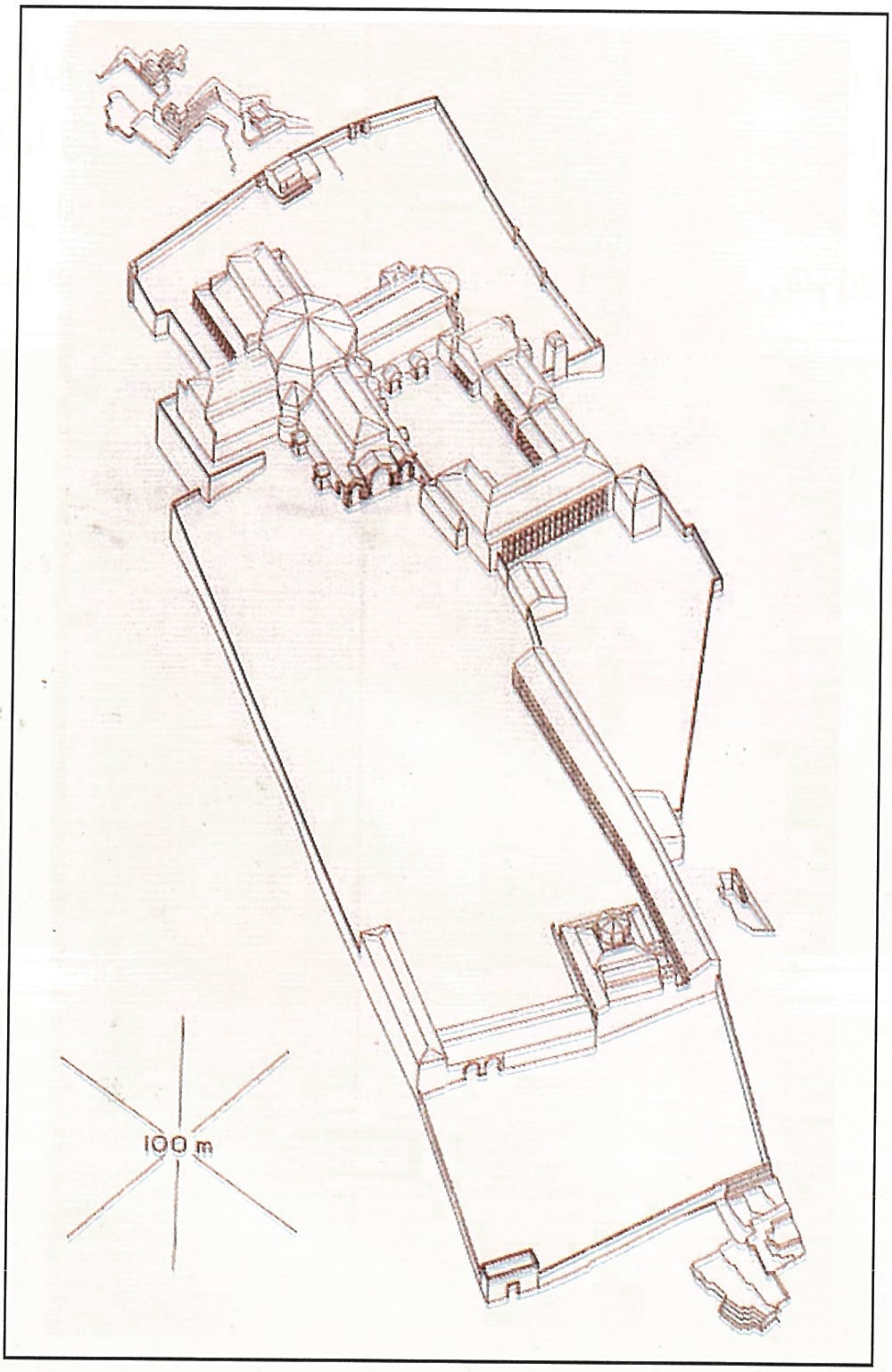


**الشكل رقم 25، مخطط شاقولي للمزار**

- حوّل الموقع بكامله إلى قلعة دفاعية في القرن العاشر وذلك بإضافة سور و13 برجاً دفاعيا لذلك أطلق عليه تسمية **«قلعة سَمعان»**.

- أجريت بعض الترميمات في بعض أجزاء الكنيسة بين عامي 1936 و1964، ولا زالت هناك بعثة من المعهد الفرنسي في الشرق

الأدنى (بإدارة جان بيير سوديني والمعماري جان لوك بيسكوب) تتابع دراساتها وأبحاثها في القلعة منذ أكثر من عشرين عاما. وهناك آلاف الأحجار المصطفة *كأرتال الجنود تنتظر اليد الحانية كي تضعها قرب زميلاتها في الجدران المنتصبة والمسبّحة ليل نهار*، (الشكل رقم 26).

**الشكل رقم 26، الأحجار المصطفة بانتظار إعادة بنائها**

### 5.2.3.1- تاريخ بناء الكنيسة:

توفي القدّيس سمعان في 24 تموز 459 بعد التقويم المتعارف عليه ودفن مؤقتاً قرب عموده. وتذكر حياة العمودي الآخر دانيال عدم وجود أي بناء حول العمود، بينما تذكر رواية أخرى وجود سياج ذي باب يحيط بموقع العمود. حسب الروايات المتداولة التي تروي إنه أتى بطريرك أنطاكيا مرتيريوس مع 600 جندي لأخذ تابوته ودفنه في أنطاكيا!! ومنها أيضا التي تقول إنه قد طلب العمودي دانيال الذي اعتلى عمودا على البوسفور عام 460 م وكان صديقا للامبراطور ليون نقل رفاته إلى القسطنطينية ليوضع في مدفن فخم أعد له بين 471 و474 ب.ت. وذلك بغية تمتين علاقات الولايات الشرقية مع الدولة المركزية البيزنطية، ففكر الامبراطور زينون ببناء كنيسة ضخمة حول عمود القدّيس سمعان لكسب ولاء وشدّ عواطف سكان وأهالي المنطقة نحو سلطة الدولة البيزنطية، وبدأ البناء بالبازليك عام 476 ب.ت..

أما عن تاريخ انتهاء البناء فقد يكون في العام 491، وذلك بالاستناد للكتابة السريانية التي وجدت في (قرية باصوفان) التي تقع على بعد 5كم إلى الشرق من قلعة سمعان وفيها كنيسة مكرّسة للقدّيس فوقاس، حنيتها مع زخارفها الدقيقة وتيجان أعمدتها نسخة مصغّرة من حنية وأعمدة كنيسة القدّيس سمعان، وكأن الكنيسة بنيت من قبل البنائين أنفسهم الذين أنجزوا بناء كنيسة القدّيس سمعان العمودي، وتحمل في واجهتها الجنوبية كتابة سريانية تذكر ابتداء العمل ببناء الكنيسة في الأول من تشرين الأول 491 وانتهائه في 30 أيلول 496 ب.ت.، أي أن انتهاء العمل في كنيسة سمعان (الشكل رقم 27) كان عام 491. إذاً استغرق بناء الكنيسة 15 عاماً، وكان بتوجيه من السلطة

الحاكمة من عام 476 وحتى عام 491 بعد التقويم المتعارف عليه[1].

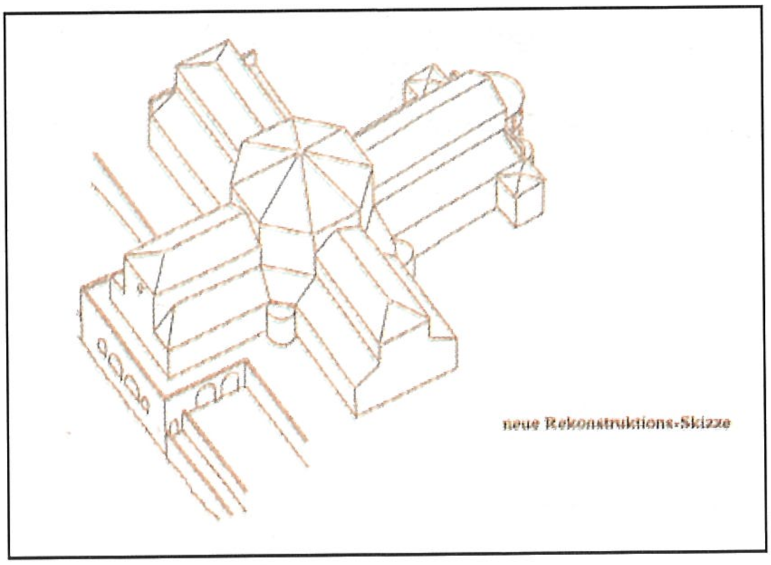


**الشكل رقم 27، مخطط مُجسم للكنيسة المصلّبة**

### 5.2.3.2 - وصف الكنيسة المصلّبة (الشكل رقم 28):

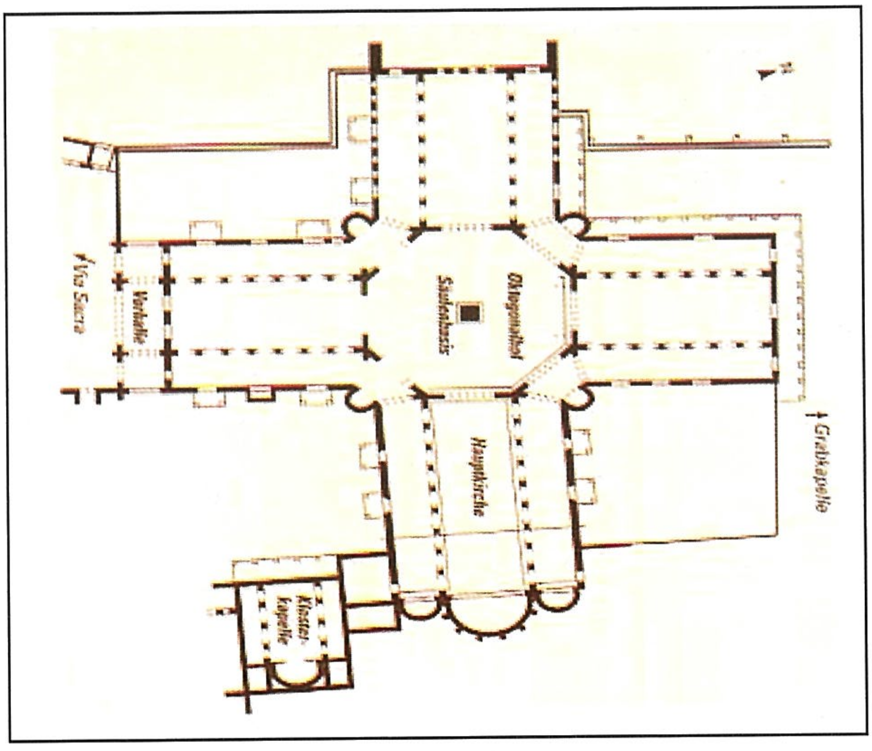


**الشكل رقم 28، المخطط الهندسي للكنيسة المصلّبة**

---

(1) تم عام 1991 الاحتفال بمرور 1500 عام على إنشاء كنيسة القدّيس سمعان العمودي. وتوّج الاحتفال بحج شارك فيه 5000 نسمة من حلب والمدن السورية زاروا فيه كنيسة القدّيس سمعان العمودي في 7 /9 /1991 (رواية م. حجار).

بنيت الكنيسة حول العمود، وكانت على شكل صليب مؤلف من أربعة أجنحة أو أضلاع متعامدة في ما بينها، ما عدا الجناح الشرقي الحاوي على الحنية التي كانت تميل مع الحنية 6 درجات أي 2.43 م منحرفاً نحو الشمال. وحسب كلمات الباحث د. شعث الذي يصف المبنى بالكلمات التالية: *«من الجدير بالذكر أن كل ضلع أو جناح يمكن اعتباره كنيسة من نوع البازليك»*(1). وقد ارتبطت الأضلاع ببعضها بواسطة شكل مثمّن قطره 28 م أحاط بالعمود الذي قام في مركزه. وكانت تعلو المثمّن قبة خشبية. وكان كل جناح مؤلفا من بهو أوسط وبهوين جانبيين تفصل بينها أعمدة ذات تيجان كورنثية (نسبة لمدينة كورينث اليونانية) على شكل كنائس البازليك. ويغطي كل بهو أوسط جملون مثلثي مع وجود سقف مائل فوق البهوين الجانبيين.

كان طول الكنيسة من الشرق إلى الغرب 100م ومن الشمال إلى الجنوب 88 م، وعرض كل جناح 24 م.

### 5.2.3.2.1 - وصف المثّمن حول العمود وسقفه:

كان المثمّن الوسط بقطر 28م، قامت في وسطه قاعدة صخرية مربعة تعلوها قطعة حجر ارتفاعها حوالي المترين وقطر 101. م هي كل ما تبقى من العمود، وقد تآكلت أطرافه بسبب تهافت الحجّاج على أخذ ذخائر وأجزاء من عمود القدّيس للتبرك بها.

أما المثمّن الأوسط فيتصل مع كل جناح من أجنحة الكنيسة الأربعة بقوس عال يستند على عمودين ينتهيان بتاجين كورنثيين، وهناك أربعة أقواس فرعية أخرى وبالارتفاع نفسه تشكل المثمّن الرائع بأحجاره ومسانده الحاملة للقبة الخشبية والتي تحمل نقوش

(1) ص. 27 و28 من مؤلفه المذكور في قسم المصادر والمراجع.

صلبان مختلفة. وباتصال الشكل المثمّن وهو عادة يبنى فوق أماكن الشهادة مع الجناح الشرقي وهو عبارة عن كنيسة بازليك ذات ثلاثة أبهاء، اجتمع لأول مرة في هذا المسطح المثمّن والتصالب ليشكلا شكلا متجانسا رغم طول أبعاد الأطراف.

نتيجة الزلازل الشديدة وبخاصة عام 526 و528 ب.ت. تهدمت أبنية كثيرة في المنطقة، فقام إيفاغريوس الأنطاكي عام 560 بوصف الكنيسة التي كانت بدون غطاء نتيجة الزلازل. وتذكر دراسة الدكتور كرنكر وجود سقف كروي فوق المثمّن. ويعترض الباحثون على ذلك لأنه عندها يكون ارتفاع نصف القبة الكروية 14 م، وعندها لا يمكن أن تصمد أمام الريح القادمة من البحر المتوسط والغرب. لذلك يفترض الباحث جان لوك بيسكوب وجود سقف هرمي مثمّن الشكل من الخشب، وعندها يكون ارتفاع السقف 7 م، وهو سقف مقاوم يصمد أمام الريح الغربية. وكتأكيد لصحة فرضية بيسكوب إن شكل السقف مثمّن هرمي أخذ بمثال وهيئة أرضية فسيفساء كنيسة طيبة الإمام شمال حماة التي تتضمن منظور كنيسة مصلّبة الشكل سقفها مشابه بالضبط للشكل الذي افترضه الباحث بيسكوب والتي تعود للعام 442 (الشكل رقم 29).

**الشكل رقم 29، جزء من فسيفساء كنيسة طيبة الإمام**

إن أرضية المثمّن الأوسط الحالية حول العمود عبارة عن بلاطات غطت الأرضية الصخرية، وتعود إلى القرن العاشر بعد التقويم المتعارف عليه، ويبدو مكان الضريح إلى الجنوب من العمود ومكان حنفية الماء الحالية على بعد بضعة أمتار إلى الغرب من موقع العمود حيث مكان الحفرة الفنية التي ينتهي إليها أنبوب دورة المياه النازل من مكان إقامة الناسك العمودي. وقد قام الباحث الألماني كرنكر بتحريات وتنقيبات في المثمّن والجناح الشرقي للكنيسة، وهو الذي وضع الجزء المتبقي من العمود فوق المصطبة المربعة.

### 5.2.3.3 - أجزاء الكنيسة المصلّبة:

#### 5.2.3.3.1 - الواجهة الرئيسة مع الردهة/الدهليز (النارثكس Narthex) (الشكل رقم 30):

تقع الواجهة الرئيسة في الجهة الجنوبية ءن المبنى وهي تضم المدخل مع الردهة (النارثكس).

**الشكل رقم 30، واجهة الكنيسة المصلّبة**

هذا الجزء مبني على الطراز الروماني الكلاسيكي المعروف. المدخل مؤلف من قوس كبير محمول من عمودين قمتهما تنتهيان بتاجين كورنثيين (الشكل رقم 31).

**الشكل رقم31، قوس مدخل الكنيسة المصلّبة**

الردهة مستطيلة الشكل ومزينة من الجهة الخارجية بزخارف وانحناءات أطرها ومثلثات أقسامها العلوية تلفت النظر مباشرة، وهي مليئة بالحركة. وقد تفنّن المعماري في زخرفة الواجهة الرئيسة للكنيسة وردهتها (النارثكس) الغنية بالنوافذ المنتهية بالأقواس والحزام التزييني حولها.

تتميز تيجان الأعمدة الكورنثية بصفي أوراق ***الأكانت*** (نبات الخرشوف) المتعاكسة التي تظهر كأنها تتموج مع حركة الريح، وهي حركة فنية جبارة تفنن بها الفنان المعماري السوري (الشكل رقم 32). وهو فن سوري أصيل ومتميز. يذكر دي فوغويه أنه لا يمكن ألا نتعرّف

في هذا البناء (الواجهة الجنوبية لكنيسة سمعان ومقدّمتها) إلى أصول جميع العناصر التي تشكل مدخل كنائس الرومانسيك في أوروبا.

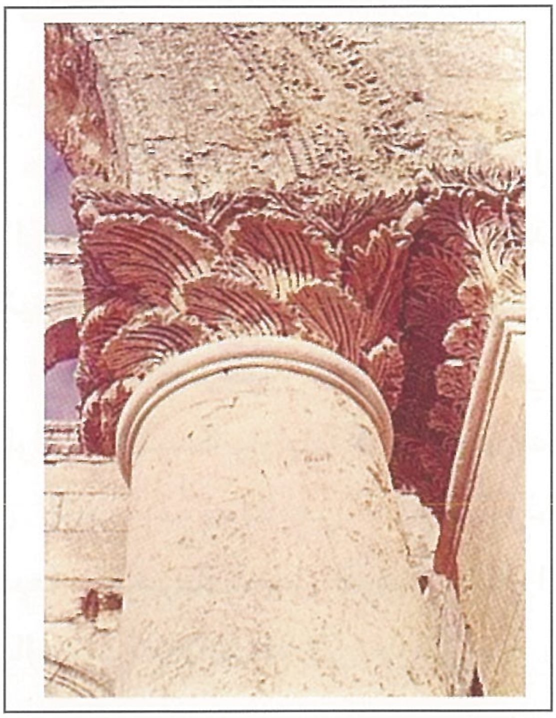

**الشكل رقم 32، زخرفة تاج العمود الداخلي للمدخل**

**للتذكير** بأنه ما بني في القرن الحادي عشر في أوروبا أصوله وعناصره الهندسية المعمارية الفنية موجودة هنا من القرن الخامس في كنيسة سمعان العمودي. كما عرفت بوضوح فترة البناء حيث تبدو النوافذ المستطيلة وقد علاها التقوس وأحاط بالنوافذ

القوسية في أعلاها الرباط التزييني الجميل، وهذا طراز عمارة النصف الثاني من القرن الخامس بعد التقويم المتعارف عليه. توازن مع الفراغ وإبداع صافٍ.

الجهة الداخلية للردهة/للنارتكس مكونة من بابين - وهما بوضعهما الحالي مرممان - (الشكل رقم 33) بدل الباب الواحد كما هو مألوف في الكنائس. والسبب في ذلك أن هذه الكنيسة منذ إنشائها كانت كنيسة للحجّاج، يدلفون من باب، وبعد الالتفاف والتطواف حول العمود يخرجون من باب. وفي داخل الجناح الجنوبي وهو عبارة عن كنيسة بازليك لا زالت قواعد الأعمدة التي كانت تفصل بين الأبهاء موجودة في أماكنها. ونشاهد في جهة الشرق حجرة بديعة الزخرفة تحمل قرصاً يضمّ الحرفين الأولين من كلمة المسيح باليونانية بالإضافة إلى حرفي *ألفا* و*أوميغا* وتعني:

**الشكل رقم 33، واجهة الكنيسة المصلّبة**

«*أنا البداية والنهاية*» (رؤيا يوحنا، الفصل 1/8)، وكان الحجر مفتاح قوس بين الأعمدة الفاصلة بين الأجنحة.

وقد يكون اضطرار المعماري لجعل المدخل الرئيس من الجنوب بسبب الموقع التضاريسي الذي لم يكن يسمح بوضعه جهة الغرب بسبب انحدار التل الكبير في تلك الجهة.

### 5.2.3.3.2 - الجناح الشرقي وحنيته (Apse):

امتاز الجناح الشرقي - وهو على شكل كنيسة بازليك مؤلف من 3 أبهاء. تفصل بينها أعمدة - بأنه أطول الأجنحة (32 م) ويتألف من 9 أعمدة. المسافة بين كل عمودين منها 3.5 م، بينما عدد الأعمدة سبعة في الأجنحة الأخرى للكنيسة. وكانت الصلوات تقام في هذا الجناح أيام الآحاد والأعياد. وقد كشف كرنكر عام 1938 وجود زخارف مرمرية في الأرضية على شكل موزاييك بقطع أحجار ملوّنة كبيرة الحجم نسبياً (الشكل رقم 22) مع وجود كتابتين على كامل عرض البهو الأوسط، إحداهما سريانية والأخرى يونانية تذكران بأعمال ترميم في الموقع عام 979 ب.ت. (الشكل رقم 34).

ترجمة النصّ السرياني: "*بني جدار هذا الدير وبابه وزينته أيام تيودوروس.... الأب سنة 1290* للتقويم السلوقي. (ويوافق العام 979 ب.ت.). ويذكر النصّ اليوناني: *أسس هذا الدير وجدّد مع كنيسته من قبل تيودوروس المعيّن وكيل دير من البطاركة..... والملكين بازيليوس وقسطنطينوس سنة 1290*" (979 ب.ت.).

إن الكتابة اليونانية تذكر بناء جديدا، وتجديدا للكنيسة، بينما يذكر النصّ السرياني بناء جدار ربما كان جدار التحصين وباب الكنيسة الجنوبية عام 979 أي قبل تدمير الدير عام 985.

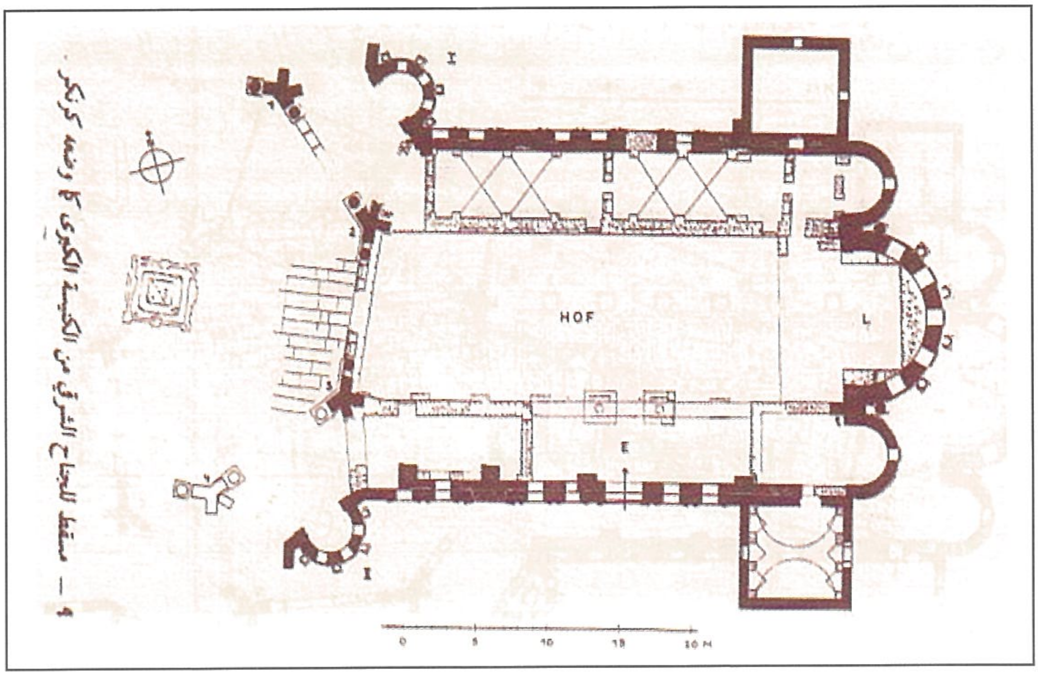


**الشكل رقم 34، مخطط الكنيسة الرئيسة**

ويبدو من الثقوب العديدة في الجدار الجنوبي للجناح أن جدران الكنيسة كانت مغطاة من الداخل بألواح المرمر.

تحيط بالحنية (Apse) الشرقية حنيتان أصغر منها إلى كل من شمالها وجنوبها بدل غرفتي الخدمة والشهادة اللتين تكونان عادة إلى شمال وجنوب الحنية وبشكل مربع أو مستطيل.

وتزدان الحنية الشرقية من الخلف بوجود أعمدة بين النوافذ (الشكل رقم 35).

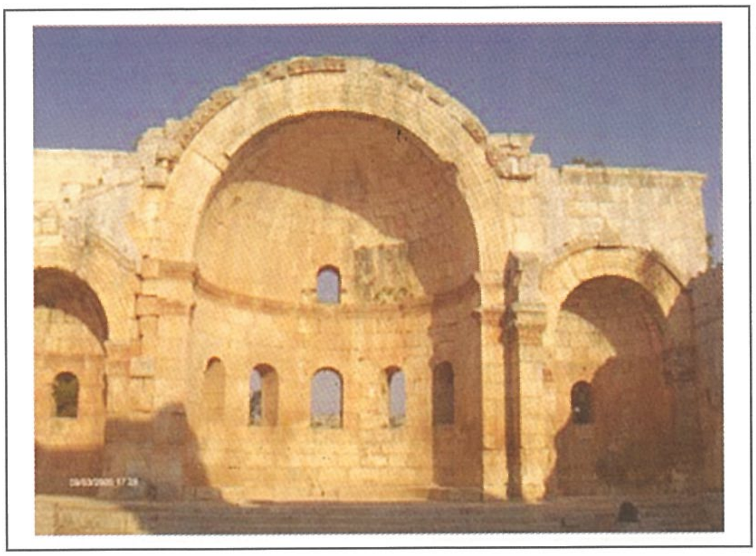

**الشكل رقم 35، الحنية من الداخل والخارج**

تظهر الحنية من الداخل والخارج، ونظرا للارتفاع الكبير لأعلى الحنية فقد اختار المهندس المعماري وضع عمودين الواحد فوق الآخر، المستند بدوره على قاعدة مرتفعة، وبذلك حافظ المعماري على الشكل الجمالي في الأعمدة المنتصبة، ولم يخالف قانون فتروفيوس الذي يفترض في طول العمود نسبة معينة (ستة أضعاف أو 10 أضعاف) قطر العمود. فإذا كان سيضع عمودا واحدا بارتفاع 10 م مثلا سيكون قطر العمود العشر أي حوالي 1 م وهذا بشع جمالياً. لذلك وضع المعماري قاعدة من الأسفل بارتفاع 2 م، وصلت إلى السوية السفلى لشبابيك الإنارة في الحنية، ووضع فوقها عموداً أول بارتفاع 4 م، أي بقطر 40 سم للعمود، ثم وضع فوقه عمودا آخر بارتفاع 4 م وبقطر 40 سم، فحصل بذلك على شكل مقبول من الناحية الجمالية.

وفي الحنية الخلفية تبدو الأحجار الجميلة ذات التقعر الصدفي مرمية على الأرض بينما مثيلاتها لا زالت في أعلى الكورنيش قائمة. لا زالت هناك عدة آلاف من الأحجار المرقمة مرتبة تنتظر أعمال الترميم المرتقبة.

أما حول انحراف كامل الجناح الشرقي نحو الشمال فيبدو ذلك واضحا للناظر من الجناح الغربي المطل على وادي عفرين باتجاه الحنية الشرقية. وهناك تفسيران للانحراف أحدهما وهو ضعيف ذكره كرنكر وهو أن السيد المسيح قبل تسليم الروح على الصليب أمال رأسه إلى اليمين؛ لذلك يحرف الجناح الشرقي تشبها برأس السيد المسيح، وهناك كنائس في أوروبا منحرفة بهذا الشكل. أما التفسير الآخر والذي يذكره الباحثان سوديني وبيسكوب فهو أن الانحراف كان متعمداً من قبل المعماري عند البناء، وذلك كي تدخل أشعة الشمس الصباحية من نافذة الحنية العليا لتضيء قمة العمود!

**5.2.3.3.3 - الجناح الشمالي للكنيسة المصلّبة** (الشكل رقم 36 مع الشكل 28 المخطط):

يتميز هذا الجناح بوجود جدار واجهته الشمالية باقية بالكامل مبينة من أبواب مع أبهائها الثلاثة وشبابيكها الرائعة برباطها التزيني. الملفت للنظر تداخل الأحجار البديع بعضها ببعض؛ بغية مقاومة تأثير الزلازل، فتقوم قطع الأحجار الضخمة بمقاومة الحركة الشاقولية، كما يقاوم التداخل المقصود بين سوقات الأحجار انزلاق هذه الأحجار تحت تأثير الحركة الأفقية للزلزال. ومن أجل حماية نجفات أعلى الأبواب من الانكسار بسبب ضغط الوزن الكبير لأوزان أحجار الجدار فوقها، تمّ وضع أقواس تفريغ الحمولة، بحيث ينتقل وزن الجدار عن طريق القوس إلى العضاضات القائمة وتحفظ بذلك النجفة من التأثر بالأحمال.

أما في حال حصول تخلخل بين الأحجار بسبب حركة الزلزال المتناوبة يمينا وشمالاً فإن أحجار النجفة سوف تنزلق عدة سنتيمترات إلى الأسفل لكنها موضوعة بشكل رباعي تنزلق فيه، وهي تحافظ على توازنها وتظلّ عالقة في مكانها دون أن تنهار. ولا ينقصها سوى *مكبس هيدروليكي* لرفعها وإعادتها إلى وضعها الأصلي.

**الشكل رقم 36، مبنى الجناح الشمالي من الداخل والخارج**

**5.2.3.3.4 - الجناح الغربي للكنيسة** (الشكل رقم 37 و38 والشكل رقم 28 المخطط):

بسبب الانحدار الكبير في الأرض من الجهة الغربية تم البناء هناك على شكل طبقتين قامت في السفلى أقواس استناد الطبقة العليا. وقد تم إجراء ترميمات كبيرة في أرضية الجناح الذي فقد أعمدته وجدرانه. من هذا الجناح الغربي يبدو في الأفق الغربي

خيال جبال الأمانوس ووادي نهر عفرين بأرضه الخصبة وسهل جومه الفسيح بحقول أشجار الزيتون.

**الشكل رقم 37، بقايا المبنى الغربي**

**الشكل رقم 38، منظر للقرية من المزار، العام 1985 (تصوير د. حموتو)**

**5.2.4 - دير كنيسة سمعان** (الشكل رقم 39 ومخطط الشكل رقم 28 ):

يقع الدير الملحق بكنيسة بازليك صغيرة نسبيا إلى الجنوب من الجناح الشرقي للكنيسة المصلّبة، ويشكل مع الجناح الشرقي والجنوبي

باحة مستطيلة. ويتألف من طبقة أرضية وطبقتين علويتين فوقها، يتقدم واجهته رواق ذو أعمدة، ما عدا واجهته الشرقية. وكان يضم 300 راهب يقيمون في طبقتي الجهة الشرقية بينما استعمل القسم الجنوبي من الدير للملحقات الخدمية والاقتصادية (غرفة طعام ومطبخ ومستودعات) وكان الاصطبل في الطبقة الأرضية.

إلى الغرب من الدير قامت الكنيسة البازليك التي كانت تستعمل في صلوات الرهبان اليومية، وكانت تتصل مباشرة بالجناح الشرقي للكنيسة المصلّبة، وتتألف من 3 أبهاء وحنية شرقية إلى جانبيها غرفتي الخدمة (السكرستيا) والشهادة، وبقايا جرن لعماد الأطفال في الجهة الشمالية الشرقية من الكنيسة،

**الشكل رقم 39، دير القدّيس سمعان**

بينما كان غطاء جرن المعمودية الجميل وهو منحوت من قطعة واحدة من الحجر آية في الزخرفة والنقوش على صورة أوراق نباتية بأشكال هندسية مختزلة. الجرن مقلوب ومرمي في الزاوية الجنوبية الغربية من الكنيسة، تحت ظل شجرة صنوبر من النوع الحلبي (الشكل رقم 40).

**الشكل رقم** 40، **جرن التعميد مقلوباً**

هناك عدة أحواض صخرية أمام المدخل الغربي لكنيسة الدير الصغيرة، ولعلها كانت تستخدم لصناعة زيت الزيتون أو لتحضير النبيذ، كما هناك في الجهة الغربية من الباحة منصة صخرية ضخمة وكأنها أعدّت للخطابة.

**5.2.5 - مقبرة الرّهبان** (الشكل رقم 41 مع مخطط الشكل رقم 28):

وتقع إلى الشمال من الكنيسة الكبرى قرب السور الشمالي، وقد حفرت أساساتها وأعماقها بالكامل من الصخر. لقد شيد بقية البناء من الأحجار المربعة المكتسبة من الصخر نفسه. المبنى مازال بحالة إنشائية معمارية جيدة تدعو للذهول رغم السنين الطويلة على تشييده. البناء ينقصه فقط السقف والنوافذ والأبواب لكي يستعمل مرة أخرى!

تتألف المقبرة من ثلاثة قبور في جدارها الشمالي والجنوبي، ومن قبرين في الجهة الشرقية، نحتت جميعها من الأرضية الصخرية التي

يتألف منها البناء. في وسط المبنى حفرت حجرة لها شكل مغارة (*خشخاشة*) كمأوى لتضم عظام المتوفين القدامى. كما قام قبر تاسع خارج واجهة مدفن الرهبان حفر في الجدار الشمالي الذي يشكل جزءاً من سور القلعة.

**الشكل رقم 41، مقبرة الرُهبان من الخارج ومن الداخل**

### 5.2.6- **كنيسة المعمودية** (الشكل رقم 42 و43):

تبعد حوالي 300 م بشكل مستقيم إلى الجنوب من الكنيسة المصلّبة، وقد خصّص هذا البناء لعِماد الحجّاج والوافدين من الناس وذلك على شكل مجموعات متقافلة.

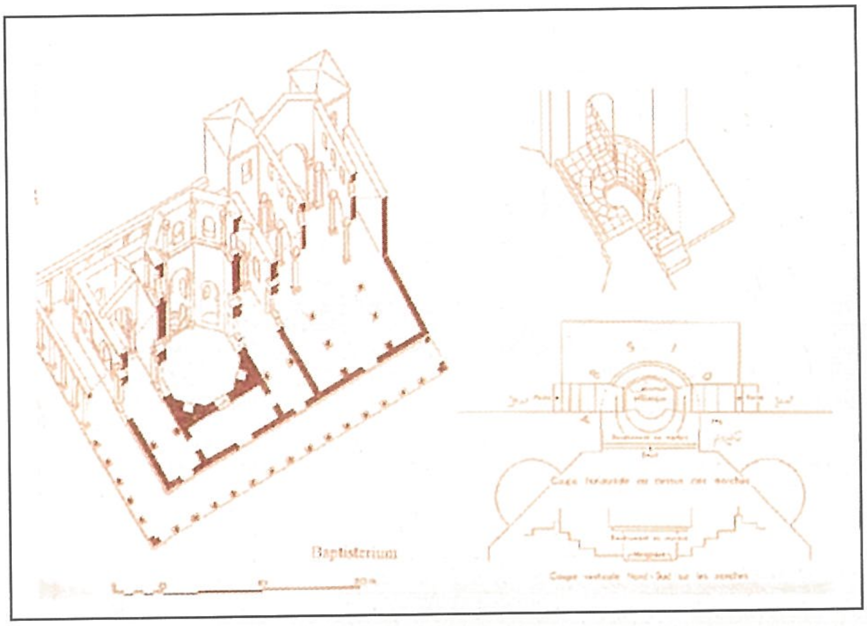


**الشكل رقم 42، مخطط كنيسة التعميد**

**الشكل رقم 43، الكنيسة المعمودية، وتظهر الأشجار المائلة بفعل الرياح الغربية القوية، وبقايا سكة عربات نقل الردم أثناء التنقيب الأثري (تصوير د. حموتو 1985).**

المبنى مرتفع قليلا عن الأرض. بواسطة ثلاث درجات حجرية

يمكن الولوج إليه، المبنى له هيئة مربّع شيّد في وسطه مثمّن صغير مع حنية شرقية مزينة بتاجين كورنثيين (الشكل رقم 44 و 45).

الشكل رقم 44، مثمّن المعمودية من الداخل

الشكل رقم 45، مبنى المعمودية مع بقايا قبة المثمّن

الضلع الشرقي من المعمودية مُكون من حفرة تعميد مستطيلة الشكل بعمق 80 سم، مكسوة بالقرميد، ومزوّدة بعدّة درجات للنزول والصعود من الجهتين الشمالية والجنوبية (الشكل رقم 46)، حيث كان الحجّاج والوافدون يمرون من أجل تعميدهم. وقد انتبه المعماري إلى إمالة الحجر أو النجفة فوق رأس الصاعد أعلى من درجات الصعود، ومن جرن التعميد كي لا يصطدم رأسه وهو صاعد بعد انتهاء تعميده. كان يحيط بالبناء المثمّن رواق للطواف قبل دخول الكنيسة البازليك الصغيرة المحاذية للمثمّن من جهة الجنوب؛ وذلك لاستكمال الطقوس وحضور القدّاس بكامله لمن تعمّدوا حديثاً.

في أرضية حوض التعميد ما زالت بقايا الأرضية الفسيفسائية ظاهرة للعيان (الشكل رقم 46).

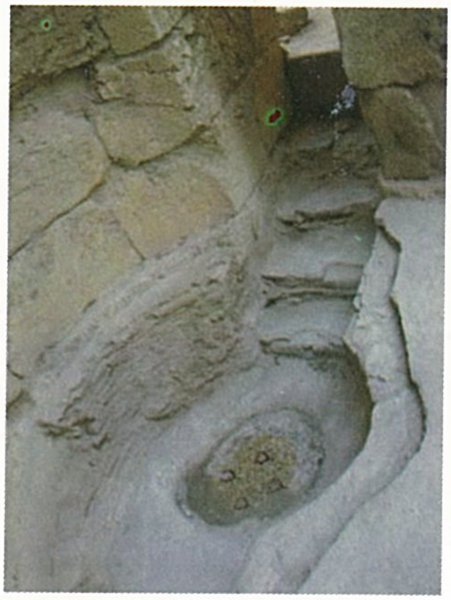

**الشكل رقم 46، مدخل وبقايا موزاييك أرضية حوض التعميد**

وقد تم بناء بعض الملحقات الفندقية إلى الغرب من كنيسة التعميد، ربما مع بداية القرن السادس بعد التقويم المتعارف عليه، وكان عمال البناء من قرية تل عقبرين (الكرامة) كما تبيّن إحدى الكتابات المكتشفة فيها.

**5.2.7 - قوس النصر ودرب مواكب ومجموعات الحجّاج والوافدين (الشكل رقم 47):**

القوس كان يشكّل بداية الدرب أو الطريق الذي كان يوصل البلدة بالمزار. نتيجة استعماله الغالب من قبل الحجّاج والزوّار المتدينين سمّي بالدرب المقدس.

الدرب كان مرصوفاً بالأحجار القاسية الكبيرة المسطحة، التي عادة ما كانت تستعمل لبناء الطرق في العهد الروماني، بقاياه ما زالت قائمة بالقرب من القوس. على حافتي الدرب كانت أبنية معمارية مشيدة على جانبي الدرب، على الأرجح حوانيت ودكاكين لوظائف خدمية مختلفة. قواعد الأعمدة الرافعة وأساسات هذه الأبنية ما زالت منظورة تحت التراب.

**الشكل رقم 47، قوس النصر وبداية درب الحجّاج المؤدي للمزار**

نتيجة التنقيبات الحديثة (الشكل رقم 48) اكتشفت أساسات بعض غرف هذه الأبنية المعمارية من جهة اليمين للقوس مباشرة، التي قد تكون على الأرجح لاستعمال مستخدمي وكوادر مدخل المزار الرسمي، وأيضا ربما كحوانيت ودكاكين لخدمة الحجّاج والزوّار، إلى جانب تأمين طلباتهم ورغباتهم مع عرض التذكارات من هدايا وذخائر وتمائم محلية بغاية الاقتناء والشراء.

**الشكل رقم 48، لقطة حديثة عن آخر التنقيبات، صيف 2008 (تصوير م حجار)**

وقد عثر على كمية من ذخائر القدّيس الفخارية الصغيرة تمثله على عموده، بالإضافة إلى حوالي 300 قطعة نقود معدنية تعود إلى القرنين الخامس والسادس بعد التقويم المتعارف عليه (الشكل رقم 15).

في أرضية إحدى هذه الغرف اكتشفت أحواض حجرية مستطيلة قد تكون معالف للراحلات والدواب، أي قد تكون الغرفة إسطبلاً!

الدرب يسلك مساراً شبه مستقيم باتجاه المزار، وهو درب صاعد مسيره يحتاج لبعض الجهد والطاقة واللياقة. وينتهي بمدخل بسيط غير مزيّن أو مزخرف، هو فاتحة وبوابة المزار.

أول بناء رسمي بعد الدخول إلى أرض المزار هو بناء المعمودية الواقع بعد عدة خطوات من المدخل، من جهة اليمين (الشكل رقم 28، المخطط).

### 5.2.8 - تحويل المجمّع الكنسي إلى قلعة وحصن دفاعي:

كان الباحث رينيه دوسّو أول من ذكر وجود القلعة الدفاعية في كنيسة سمعان، بينما ذكر الباحثين فان برشم وفاتيو وجود الحصن أيام المماليك في القرن الرابع عشر أو الخامس عشر ب.ت..

أما الباحث تشالنكو فقد اعتبر أن الموقع هجر في القرنين السابع والثامن، وأعيد سكنه وتحصينه في القرن العاشر من قبل البيزنطيين، وذلك للدفاع عن أنطاكيا وما حولها. ويعيد إلى هذه الفترة بناء سور القلعة بكامله بما فيه من أبراج دفاعية وجدران استنادية لحماية السور من الانهيار ( الشكل رقم 49).

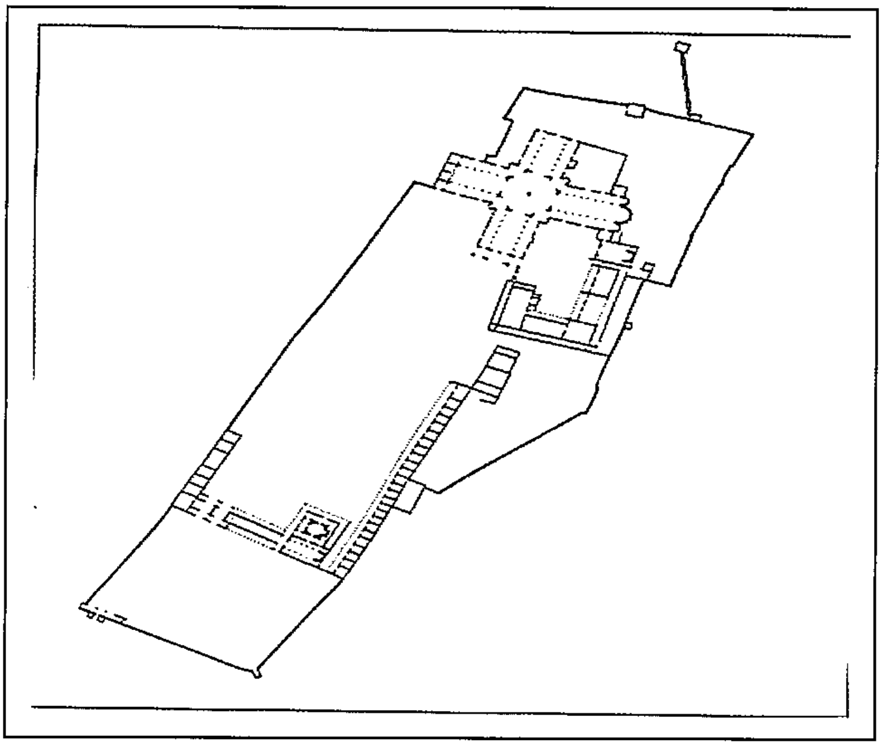

**الشكل رقم 49، تحصين المزار إلى قلعة دفاعية**

نتيجة الدراسات والحفريات التي تمّت في العقدين الأخيرين من قبل الباحثين سوديني وبيسكوب، تبيّن أن شغور الموقع كان مستمراً دون انقطاع منذ إنشاء الكنيسة وحتى استعماله كموقع دفاعي من قبل البيزنطيين. والكتابتان السريانية واليونانية اللتان وجدهما الدكتور كرنكر عام 1937 في البهو الأوسط للجناح الشرقي للكنيسة والمؤرّختان عام 979 ب.ت. تدلان على ترميم وتحصين الدير، وكان ذلك بعد 10 سنوات من احتلال البيزنطيين أنطاكيا[1].

أبقى العرب المسلمون عند دخولهم سوريا قبل منتصف القرن السابع مجمع كنيسة القدّيس سمعان العمودي بيد رهبانه. وكان عياض بن غنم قد فتح سلماً معظم مدن المنطقة الشمالية حتى بلدة

(1) الصورة الجوية، في الصفحة رقم 28، تظهر بشكل واضح المخطط الدفاعي مع الأسوار والأبراج لبقايا القلعة اليوم.

كيروس (النبي هوري) الاستراتيجية. كانت أنطاكيا في هذه الفترة تحت حكم الحمدانيين، حوالي عام 945 وحتى 969 ب.ت..

كان بطريرك أنطاكيا آنذاك خريستوفوروس صديقا لسيف الدولة الحمداني أمير حلب. إثر عصيان قام به أهل أنطاكيا ضد سيف الدولة في أواخر عهده، لجأ البطريرك بسبب وفائه لسيف الدولة للإقامة في دير سمعان. بعد استعادة سيف الدولة لسلطته على أنطاكيا جاءه البطريرك مهنئاً وطالباً العفو عن العصاة. وبدلا من عرفان الجميل فقد دبّر العصاة اغتيال البطريرك واتهموه بالخيانة والاتصال بالبيزنطيين، وتم اغتياله في 23 أيار 967 أي بعد سنتين من وفاة سيف الدولة (الشكل رقم 50).

**الشكل رقم 50، صورة مأخوذة للقلعة من الجهة الجنوبية في العام 1985 (تصوير د. حموتو)**

يعتقد الباحث الأب جوزيف نصر الله أن تحصين القسم الغربي من قلعة سمعان المطل على وادي عفرين ربما تم خلال إقامة

البطريرك في الموقع، أي قبل احتلال أنطاكيا من قبل البيزنطيين عام 969، ويؤيد الباحث بيسكوب ذلك، ويضيف إن الجناح الغربي للكنيسة الذي سكنه البطريرك خريستوفوروس لإطلالته الجميلة على وادي عفرين ومزارع زيتون جبل الكُرد ربما عزل عن باقي الكنيسة، ولم يعد يستعمل سوى جزء منه (الشكل رقم 51).

**الشكل رقم 51، صورة من الجهة الغربية، أسفل سفح الهضبة من العام 1985 (تصوير د. حموتو)**

من المعروف أن القلعة احتلت مرتين الأولى عام 985 من قبل سعد الدولة بن سيف الدولة الحمداني، وكان عندها القائد البيزنطي برداس فوقاس يحاول احتلال أفاميا، والثانية عام 1017 من قبل الجيش الفاطمي الذي أحرق القلعة.

لم تلعب القلعة دوراً دفاعيا هاما حيث كان مركزها هامشياً وخارج طريق حلب - أنطاكيا التي تتمّ مراقبتها من موقعي (تزيّن وأرتاح). ويبدو أنه عند مرور الصليبيين الفرنجة في جبال ووهاد الكتلة الكلسية في بداية ومنتصف القرن الثاني عشر (معركة السهل الدامي

عند سرمدا عام 1119 ومعركة بئر معراتا غرب البارة في جبل الزاوية عام 1149 وسواهما) كانت قلعة سمعان قد أصبحت نسياً منسياً.

هناك عدة أسباب أدت **لانحدار واضمحلال البلدات والقرى الأثرية (المدن الميتة أو البائدة)** وتراجعها سكانياً واستيطانياً؛ وذلك بنسبٍ وأزمانٍ مختلفة، منها غزو الفرس عام 540، والزلازل والأوبئة في القرن السادس أيام جوستينيان، ومنها وقوعها تحت سلطة العرب المسلمين؛ وكنتيجة لهذا الوضع؛ القطيعة الاقتصادية مع الغرب ككل؛ وتوقّف تصدير الزيوت ونتاج الكرمة وتراجعها، إلى جانب استهلاك التربة الكثيف على مر السنين السابقة وضعفها الإنتاجي، بالإضافة إلى الخلافات المذهبية التي كانت مستعرة بهذه الحقبة، ولتداعيات الحروب الصليبية وتجاذباتها على أرض المنطقة وذلك لعقود من الزمن، وأخرى لانتقال مراكز وثقل التجمعات السكنية والإدارية للداخل السوري نتيجة تشكل سلطات حاكمة جديدة (سلطنات). حسب المؤرّخ ابن العبري أسقف حلب (المتوفى 1286ب.ت.) والمعاصر لغزو هولاكو والمغول عام 1260 أنه لم يعد هناك من"*بيولٍ*" على جدار في منطقة الجومه، أي الكتلة الكلسيّة، دليلاً فراغها من السكان.

## 6. بلدة دير سَمعان (تلانيسوس):

تقع البلدة إلى الجنوب والقليل من الغرب من المرتفع الصخري، التي كانت قرية ريفية زراعية عادية ما لبثت أن ازدهرت وتوسعت، عندما انتشرت سمعة القدّيس سمعان في أنحاء العالم، وبدأ الحجّاج يقصدونه من كل حدب وصوب، كانت القرية تؤمن للوافدين المأوى والمبيت والخدمة مما أدى إلى ازدهارها وتوسعها وتطوّرها معمارياً وسكانياً واقتصادياً (الشكل رقم 52).

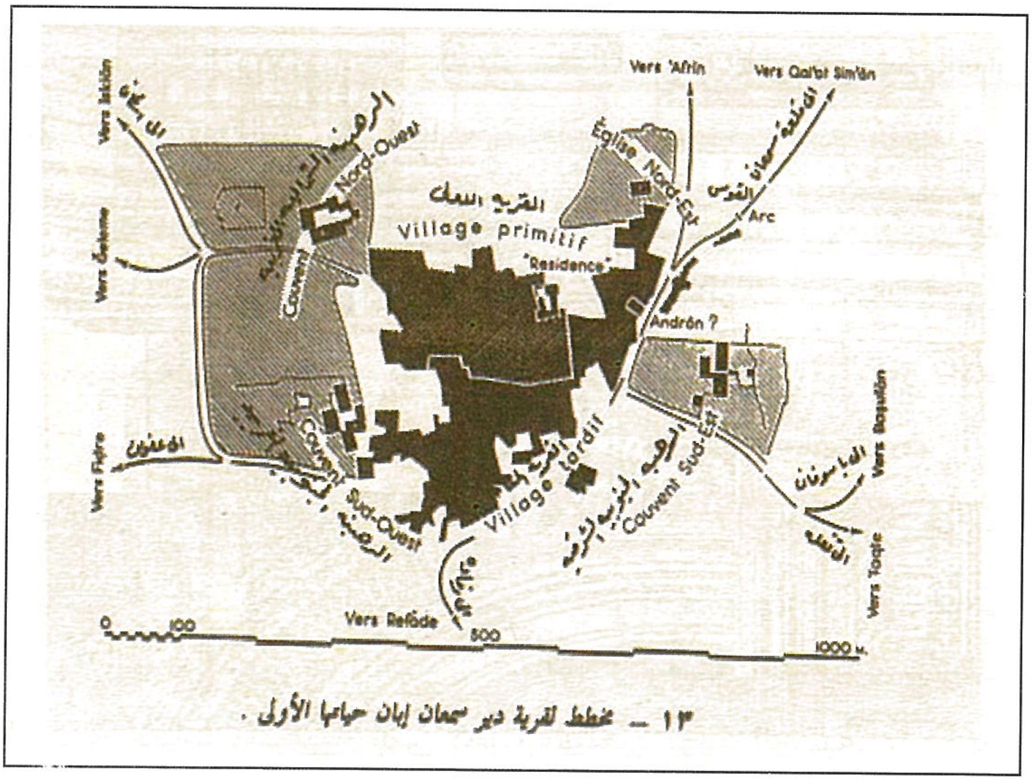


**الشكل رقم 52 مخطط قرية سمعان**

اسم القرية بالسريانية «تل نيشه» وتعني تل النساء، وحوّر في اليونانية ليصبح تِلانيسوس، وهي تدعى حالياً قرية دير سمعان. لم تبق من القرية القديمة سوى خرائب مبعثرة شمال القرية الحالية على مساحة 350 ×150م. وبدأت أهمية القرية تزداد عندما قصد القدّيس سمعان عام 412 ديرها الشمالي الغربي، الذي أسّسه مارس بن برطعون.

بدأ إنشاء الأبنية الهامة في القرية إثر وفاة القدّيس سمعان عام 459 ب.ت. وبخاصة عند بناء الكنيسة المصلّبة فوق الهضبة الصخرية وذلك بين عامي 476 و491 م، حيث أقامت فيها ورشات عمال البناء. يؤكد ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان» وجود دير هام فيها يستقبل الحجّاج والمسافرين ما يؤكد ازدهارها؛ وبخاصة وقوعها على الطريق الواصلة بين أفاميا في الجنوب وكيروس في الشمال.

يذكر إنّو ليتمان الألماني قارئ اللغات السامية في البعثة الأميركية إلى سوريا أنه وجد فيها كتابات تعود إلى القرن التاسع حتى القرن الثاني عشر. كما وجد فيها كتابات كوفية من القرون الوسطى.

شُيّدت وبنيت في البلدة العديد من المباني كأديرة ونزل وفنادق لإيواء الحجّاج والوافدين والزوّار.

هذه الأبنية كانت تتألف من غرف مبنية حول باحة مغلقة هي نواة المنشأة، يضاف إليها فناء ذو عدّة طبقات أو قاعات تتقدمها أروقة مشكلة من أعمدة. بالإضافة لذلك كانت هناك سوق عامة خلف رواق بطول 50 م. في أبنية السكن تخصص الطبقة العلوية للمبيت والسكن والإقامة بينما تستعمل الطبقة الأرضية كإصطبل للراحلات.

أهم أبنية قرية دير سمعان هي: الدير الشمالي الغربي والدير الجنوبي الغربي والدير الجنوبي الشرقي وهو الأقرب من المزار. كما أنه هناك بناء سماه «تشالنكو» مكان الإقامة la residence مؤلف من طابقين، ويحيط به رواق واعتبره بناء حكوميا. كذلك هناك كنيسة بازليك تهدم جزء كبير منها تقع إلى الغرب من شارع المواكب وشمال الخرائب. وإلى الجنوب من الكنيسة بناء «الأندرون» المؤلّف من طابقين، وهو مكان لقاء وتجمع أهل القرية، كانت له وظيفة تشبه المضافة في الوقت الحاضر. حاضراً يقطن الأهالي بين هذه الأبنية الأثرية القديمة، وأنشؤوا بينها دوراً وبيوتاً حديثة. بعض هذه الدور شيّدت من نفس مواد المنشآت القديمة والأخرى بداخلها مما عرّض الكثير من هذه المباني التراثية للتغير وللخراب والتشويه (الشكل رقم 53).

**الشكل رقم 53، لقطة من العام 1985 الجهة الجنوبية للقلعة باتجاه البلدة وتظهر فيها المباني القديمة والحديثة متداخلة بعضها ببعض (تصوير د. حموتو)**

## 6.1 - الدير الشمالي الغربي (الشكل رقم 54):

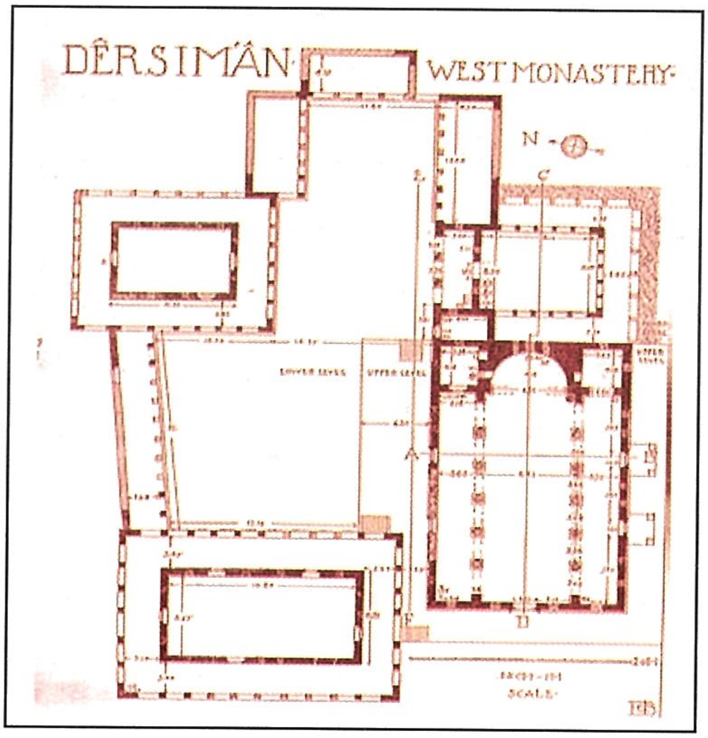


**الشكل رقم 54، مخطط الدير الشمالي الغربي**

هو أقدم الأديرة في تلانيسوس. تقع الكنيسة الكبيرة في الجنوب وخلف حنيتها الخارجية مقبرة، يعيد المنقب بتلر بناء الكنيسة إلى أواخر القرن الخامس (الشكل رقم 55).

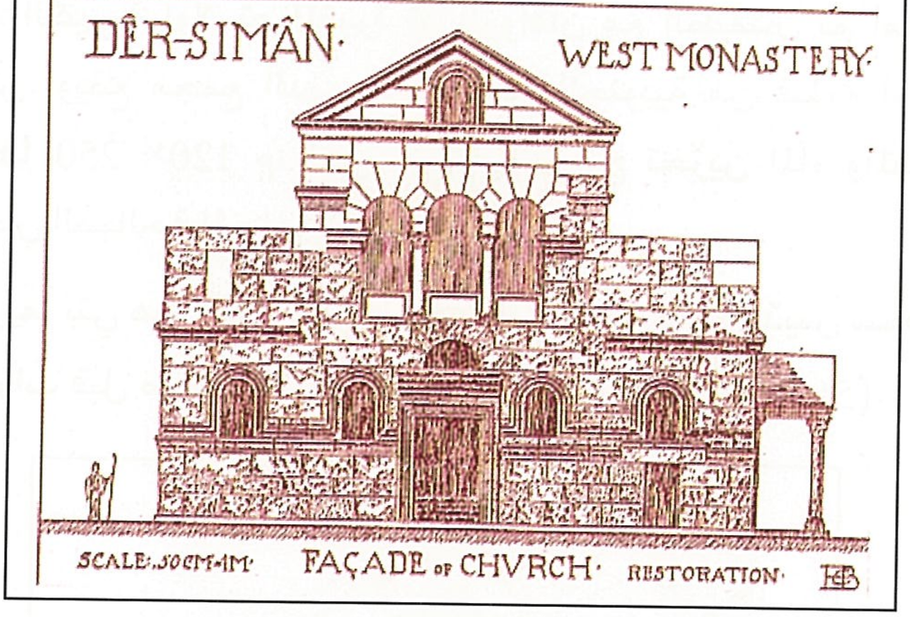


**الشكل رقم 55، واجهة الدير**

في الشمال بناءان بأروقة متصلان مع بعضهما بممرّ مع وجود باحة. هناك بناءان متميّزان جهة الشرق، في كل من الطبقة الأرضية والعلوية قاعة وحيدة مفتوحة على الباحة عن طريق الركائز. خصّص أحد البنائين لإقامة الزوّار والضيوف المؤقتة، على الأرجح لأشهر الصيف الحارة. بينما كان البناء الثاني مخصصاً لإقامة الرهبان. شرق البنائين رواق يتقدم مسكنا مربعاً يشبه البرج يعلوه جناح جميل الإطلالة، ربما كان على الأرجح لسكن رئيس الدير، وهو يتميز عن مكان سكن الكاهن المؤلف من غرفتين فوق بعضهما والواقعتين إلى الشرق من غرفة خدمة القداس (الدياكونيكون) شمال حنية الكنيسة.

هناك على بعد 50 م إلى الغرب من الدير في وسط أرض زراعية بقايا بناء صغير مؤلف من قاعدة وأربع ركائز في زواياها، ربما كانت مكان إقامة أحد النساك العموديين في القرن السادس. ويعيد الباحث بتلر باقي الأبنية الملحقة بالكنيسة إلى فترة لاحقة وقريبة من بناء الكنيسة في بداية القرن السادس، وكان تسلسل

البناء الكنيسة أولاً ثم المقبرة ثم الرواقان مع الطبقتين ثم أماكن السكن. ويقع مجمع الدير في الزاوية الجنوبية من قطعة أرض أبعادها 250 ×120 م، تضم بعض صهاريج تخزين الماء والمقالع والأرض الصالحة للزراعة المبعثرة هنا وهناك.

ربما بني هذا الدير مكان الدير الذي أمضى فيه القدّيس سمعان 3 سنوات قبل صعوده الجبل واعتلائه العمود (الشكل رقم 56).

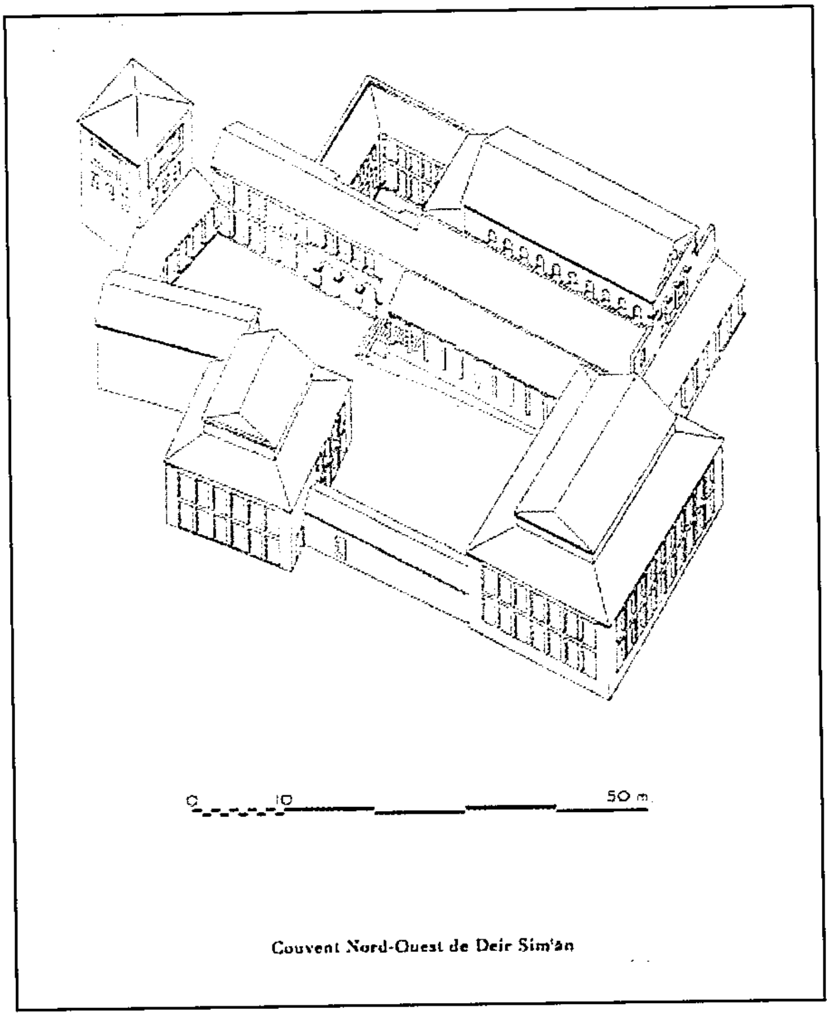


**الشكل رقم 56، مُجسم للدير**

### 6.2 - الدير الجنوبي الغربي (الشكل رقم 57):

هذا الدير يشبه بأبنيته الدير الموصوف سابقا، ويشكل الزاوية

في أرض زراعية أبعادها 275 ×250م لا زالت محاطة بجدران. وتتجه أبنية الدير من الجنوب إلى الشمال وتقع الكنيسة في قسمه الجنوبي، وقد تعرّض جناحه الشمالي لإضافات متأخرة. هناك أيضا دار سكن في الشرق، وبناءان لسكن أهل الدير في الشمال والغرب، لقد حفرت تحت البناء الغربي مقبرة خاصة بالدير بداخلها نواميس الموتى.

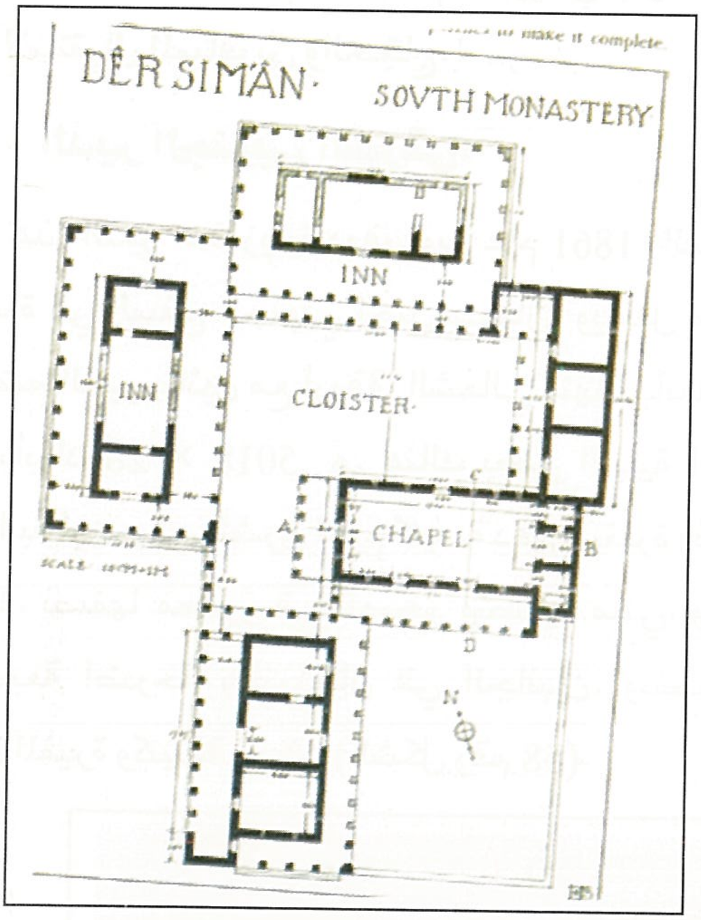


**الشكل رقم 57، مخطط الدير الجنوبي الغربي**

تتألف الكنيسة من بهو وحيد واسع أبعاده 4017. × 608. م مع هيكل ثلاثي Sanctuaire Tripatri وسقف مستوٍ في الشرق بدل الحنية، يطل الهيكل بأقواسه الثلاثة على البهو أما قوس الهيكل فهو واسع وأعلى من القوسين الجانبيين. أما مكان الشهادة (المرتيريون) فملحق بجنوب الكنيسة ويضم ضريحاً. وكان يحيط بالكنيسة رواق من

الغرب والجنوب، وقد اتصل رواق بناء الدير برواق الكنيسة. وتألفت الطبقة العلوية لبناء الدير من ثلاث غرف منفصلة. وهناك سور مجدّد قسّم الأبنية إلى قسمين غير متساويين. الشمالي لا يضم أبنية واضحة، ويتميّز في القسم الجنوبي بين الصهاريج والأبنية المتهدّمة مستودع كبير للمياه أبعاده 20 ×20 م ما يوحي بأن المنطقة كانت مخصصة لاستقبال المسافرين والحجّاج.

### 6.3 - الدير الجنوبي الشرقي:

سمّي هذا الدير منذ زيارة دوفوغويه عام 1861 «الفندق الكبير» ويقع مباشرة في السفح الجنوبي لجبل سمعان، ويشغل مساحة 200 ×100م. يضم الدير بنائين مع أروقة؛ الشمالي منهما بأبعاد 38 × 17 م والآخر بأبعاد 28 × 5018. م. هناك بعض الأبنية المتهدّمة إلى الغرب من البنائين. وإلى الشرق تقوم كنيسة دفن صغيرة (مُصلى) ذات طبقة علوية، نصفها محفور في الصخر ونصفها مبني، وفي طبقتها الأرضية سبعة أضرحة وضريحان في الجانبين. وتفصل بلاطات حجرية بين المقبرة وكنيسة الدفن (الشكل رقم 58).

**الشكل رقم 58، صورة مأخوذة من العام 1985 (تصوير د. حموتو)**

أما البناء الشمالي ويضم 3 طبقات، قسّمت الطبقة الأرضية فيه إلى قاعتين تفصل بينهما غرفة ضيّقة واشتملت طبقتان على شرفة أو رواق. أما البناء الجنوبي فيتألف كذلك من 3 طبقات قسمت الأرضية إلى قاعتين؛ الجنوبية منهما أصغر من الأخرى وتشكل بهوا لكنيسة داخلية صغيرة هيكلها بارز نحو الخارج. هناك فراغ ربما لإقامة "تخييم" الحجّاج في الهواء الطلق. بالاستناد على الإفريز العلوي للدير يمكن تأريخه إلى النصف الثاني من القرن السادس.

ويبيّن الباحث تشالنكو تطوّر الكنيسة في الأديرة بين القرن الخامس والسادس، فيذكر إن كنيسة الدير الشمالي الغربي المبني في القرن الخامس كانت كبيرة وغنية بالزخرفة، أما الدير الجنوبي الغربي فكانت كنيسته مساوية بحجمها لأبنية الدير الأخرى. أما في الدير الجنوبي الشرقي، فلم تعد الكنيسة هي البناء الأساسي بين مجموعة أبنية الدير بل أصبحت ملحقة به وبأبعاد صغيرة لا تميّز جيداً من الخارج.

### 6.4 - الكنيسة الشمالية الشرقية:

هذه كنيسة معزولة لا يتبعها دير أو دور سكن، وتشغل القسم الشرقي من أرض واسعة في شمال شرق تلانيسوس. لها هيئة كنيسة بازليك ذات ثلاثة أبهاء تفصل بينها أعمدة وحنيتها نصف دائرية، سقفها مستقيم يحيط بهيكلها برجان ويتقدم واجهتها الغربية رواق (نارثكس). تعرّضت لحريق أصاب واجهتها الغربية فاستبدل بابها مع نجفته، وربما كان ذلك في القرن العاشر إثر ترميم البيزنطيين للكنيسة (الشكل رقم 59).

**الشكل رقم 59، بقايا الكنيسة الشمالية الشرقية**

اعتبر بتلر الكنيسة من القرن الخامس لتشابه عناصرها الزخرفية مع كنيسة سمعان العمودي. إلا أن تشالنكو يعيدها إلى القرن السادس بسبب زخرفة أقراص نوافذ الواجهة الغربية وتفاصيل أخرى.

إلى الجنوب من الكنيسة وعلى بعد حوالي 30 م توجد عدّة مبان متهدمة يفصلها جدار عن الكنيسة لعلّها كانت فندقاً كبيراً. وربما كانت الكنيسة لأهل القرية وعددهم قليل آنئذ بالنسبة للحجّاج العديدين القادمين للزيارة.

بفضل القدّيس سمعان تحولت قرية تلانيسوس من قرية بسيطة في سفح جبل سمعان تعتمد على زراعة الزيتون والرعي إلى مركز كبير يقصده الحجّاج من سوريا ومن أنحاء العالم، فاهتم الأهالي بتأمين أماكن الإقامة والراحة للزوّار ما أدّى إلى توسعها وازدهارها.

### 7- قلعة سمعان حديثاً (الباحثون والترميم والتنقيب):

كان **المركيز جان ملكيور دو فوغويه** الرائد الأول الذي أصدر كتابه «سورية المركزية» إثر زيارته للمنطقة عام 1861- 1862 وخصّ

القلعة وقرية دير سمعان باثنتي عشرة لوحة من رسم المهندس دوتوا C. Duthoit توزعت بين مسطح ومقاطع ومنظورات البناء للكنيسة بأجنحتها الأربعة حول المثمّن مع تفاصيل تيجان الأعمدة والأبنية السكنية وقوس النصر. كما ذكر سَكن آغا كردي (على الأرجح آغا عشيرة أكراد يزيديي هذه المنطقة) في بناء الكنيسة المصلّبة، وسَكن شيخ عربي في بناء المعمودية الجنوبي خلال زيارته. كما ذكر كتاب "جبل القدّيس سمعان العمودي قرب حلب وآثار من القرن السادس" الذي ظهر عام 1877 من تصوير **ألبير بوخة**[1] بصوره الجميلة وتعليق دي فوغويه (الشكل رقم 60 و61).

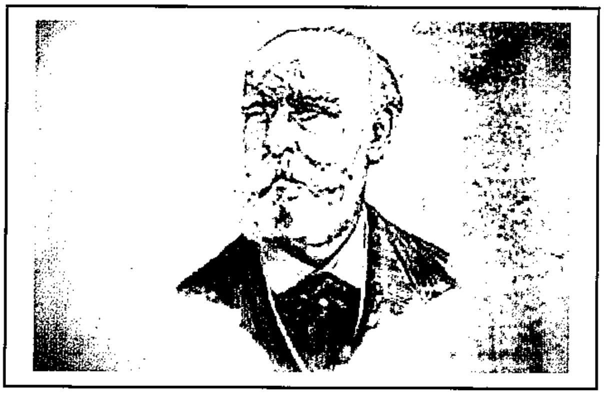

**الشكل رقم 60، المركيز دو فوغويه**

---

(1) ألبير بوخة تاجر وقنصل حلبي من أصل نمساوي، مواليد حلب1842، كان قنصلاً لملكة بلجيكا وهولندا بالقرن التاسع عشر، وهاوي تصوير من الدرجة الأولى. حفيدته جيني بوخة- مراش أصدرت في العام 2006 كتاباً وثائقياً جميلاً ورائعاً وفريداً بصوره، الكتاب كان بعنوان "صور جدي" متضمناً لصور نادرة عن حلب وأهاليها وناسها ومنطقتها، التقطها جدها بجهازه التصويري الفوتوغرافي في ذلك الزمان. أسرة بوخة الحلبية لها دور كبير في الثقافة والتراث الوطني والحفاظ عليه، خاصة والد المرحومة جيني، الدكتور الطبيب أدولف بوخة، الذي ترأس لأعوام جمعية العاديات الحلبية العريقة، والذي أهدى المتحف الوطني بحلب قطعا وتحفا أثرية كثيرة، اسمه مازال مُخلدا على لوحة مرمرية إلى جانب شخصيات حلبية أخرى في بهو متحف حلب الوطني.

**الشكل رقم 61، تصوير ألبير بوخة من العام 1861**

- أما البعثة الأثرية الأمريكية لجامعة برينستون إلى سوريا التي جاءت بقيادة أستاذ فن العمارة المهندس المعماري **هوارد كروسبي بتلر** (الشكل رقم 62) واللغوي الألماني المشهور **إنو ليتمان** Enno Litmann[1]،

---

(1) يُسعدني بأني التقيت بابن ابن أخيه غيرت ليتمان Gert Litmann، دكتور الفيزياء ورئيس مجلس الإدارة السابق لشركة كارل زايس لصناعة العدسات الألمانية المشهورة والعريقة في إحدى رحلات المشي في جبال جنوب الأردن، وذلك في أواخر تسعينات القرن الماضي، وعلى إثرها تشكلت بيننا صداقة ودية بنكهة فكرية تاريخية ما زالت مستمرة لليوم (العام الماضي احتفل بعيد ميلاده الثاني والتسعين). في العام 2008 زارني في حلب، بدعوة مني، مع صهره وابنه المكنى باسم عمه الكبير وكنته. على إثرها زرنا أماكن إقامة وعمل عمه الكبير، وتقفينا خطاه في منطقة قلعة سمعان. هديته لي بمناسبة زيارته كانت مخطوطة يوميات عمه أثناء زيارته لسوريا، وإقامته في حلب، وعمله بموقع قلعة سمعان قبل مئة عام تقريبا. المخطوطة محفوظة بمكتبتي المتواضعة بحلب المحروسة.

فقد قضت عيد الفصح في 23 نيسان 1904 في قلعة سمعان، وخصّصت الجزء السادس من مطبوعاتها للتكلم عن 24 موقعاً أثرياً في جبل سمعان ضمن 100 صفحة خصّصت 20 صفحة منها للتكلّم عن فن العمارة في دير سمعان والكنيسة الكبرى المصلّبة فيه.

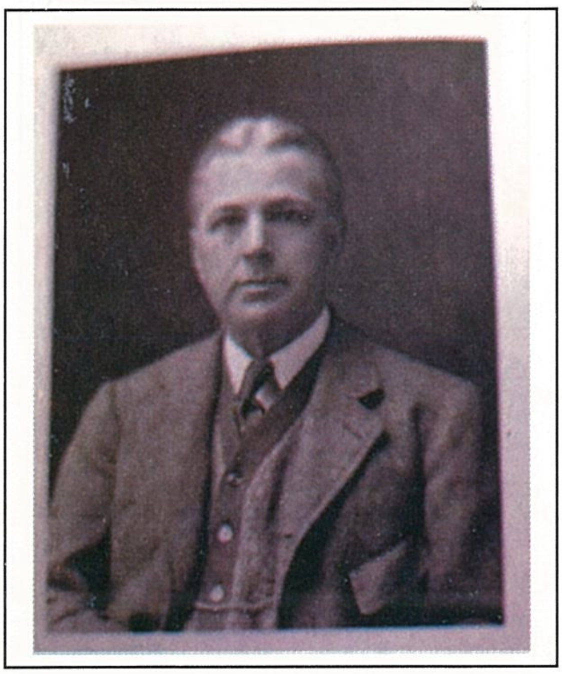

**الشكل رقم 62،، هوارد كروسبي بتلر**

أما الباحث **جورج تشالنكو** (الشكل رقم 63) فقد قضى عمره يبحث وينقب ويقوم بترميمات جزئية في القرى الأثرية وبخاصة في قلعة سمعان. وقام بأعمال ترميم بين عامي 1936 و1963 تحت إشراف المديرية العامة للآثار والمتاحف تناولت بابي البهو الرئيس للواجهة الجنوبية وجناح النارثكس الغربي والجدار الشمالي للكنيسة الشرقية مع حنيتها، وبعض أقسام علوية من المثمّن الأوسط، وقد ساهم معه في الترميم المهندس جورج قلمكاريان.

**الشكل رقم 63، الباحث المهندس المعماري جورج تشالنكو**

قام تشالنكو عام 1956، وبموافقة مديرية الآثار، بزراعة جانبي الباحة الفاصلة بين الكنيسة المصلّبة وكنيسة المعمودية وإلى الغرب من الجناح الغربي للكنيسة المصلّبة وفي جميع السفوح المجاورة بالأشجار المثمرة والبيئية التجميلية (الشكل رقم 64 والسابقة 43).

**الشكل رقم 64، لقطة مأخوذة من العام 1985 باتجاه المعمودية وتظهر فيها الأشجار التي زرعها تشالنكو (تصوير د. حموتو)**

ويتوفى تشالنكو عام 1987 في لبنان، وتتابع من بعده بعثة معهد الآثار الفرنسي في الشرق الأدنى تنقيباتها وأبحاثها في قلعة سمعان...

تقوم حالياً بعثة تنقيب فرنسية بإدارة المهندس المعماري جان لوك بيسكوب بالعمل في موقعين من سفح القلعة الغربي، الأول قرب قوس النصر الذي كان الحجّاج يتجهون منه؛ من تلانيسوس إلى أعلى القلعة، حيث كشفت في أرضية بعض الغرف أشكال معالف ربما استعملت كإصطبل مع حوانيت بيع الهدايا وذخائر (أولوجي) القدّيس التي يأخذها الزوّار تذكاراً لزيارتهم (كما أسلف بالجزء رقم 2.75.-- والشكل رقم 47 و48).

وقد وجدت كمية من ذخائر القدّيس الفخارية الصغيرة تمثله على عموده بالإضافة إلى حوالي 300 قطعة نقود معدنية تعود إلى القرنين الخامس والسادس بعد التقويم المتعارف عليه (الشكل رقم 15). أما الموقع الثاني الذي ينقب فيه فيبعد حوالي 200 م إلى الشمال من الموقع الأول ويمتد في بقعة مساحتها حوالي 50 ×50 م. تتدرج جدران البناء مع ميل السفح، مع مكان على الأرجح لتسخين الماء. إلى جانب ذلك اكتشفت فسيفساء برسوم هندسية في أرضية إحدى الغرف. وقد حوّل المقلع الذي أخذت منه الحجارة إلى خزان للماء. حسب رأي المنقب ربما تكون ***حمامات لخدمة الحجّاج***(؟؟). كما وجدت تيجان أعمدة كورنثية شبيهة بطراز أعمدة الكنيسة المصلّبة وهو دليل مساعد للفترة التاريخية التي بنيت فيها هذه للأبنية، أي نفس الزمن الذي بنيت فيها الكنيسة المصلّبة، أي في القرن الخامس ب.ت.. مع تقدم العمل الأثري في الموقع فسيسلط مزيداً من الضوء على الوظيفة الأساسية لهذه البقايا المعمارية!!

**وختاماً:**

من خلال المشروع الخاص بهواة المشي والسير على الأقدام Hiking Trail ومحبي الطبيعة والبيئة ورياضيها الذي كانت السفارة السويسرية بدمشق وراء تنفيذه عام 2007، وتمّ فيه إعداد عدّة مسارات ودروب للمشاة بين القرى الأثرية في جبل سمعان، أصبح بإمكان المشاة السائحين والزائرين استخدام المسار الواصل بين قمة جبل الشيخ بركات نزولاً إلى قرية قاطورة ومنها إلى رفادة، القرية المجاورة مباشرة ومن ثم إلى تِلانيسوس فقلعة سمعان. ومن خلال سيرهم ومشيهم يشاهدون الآثار والأوابد والشواهد الأثرية التراثية الباقية، ويستمتعون بالمناظر البانورامية الجميلة وبالهواء الطلق وبسحر الطبيعة الخلاب وبخاصة في أيام فصل الربيع (الشكل رقم 65 و66).

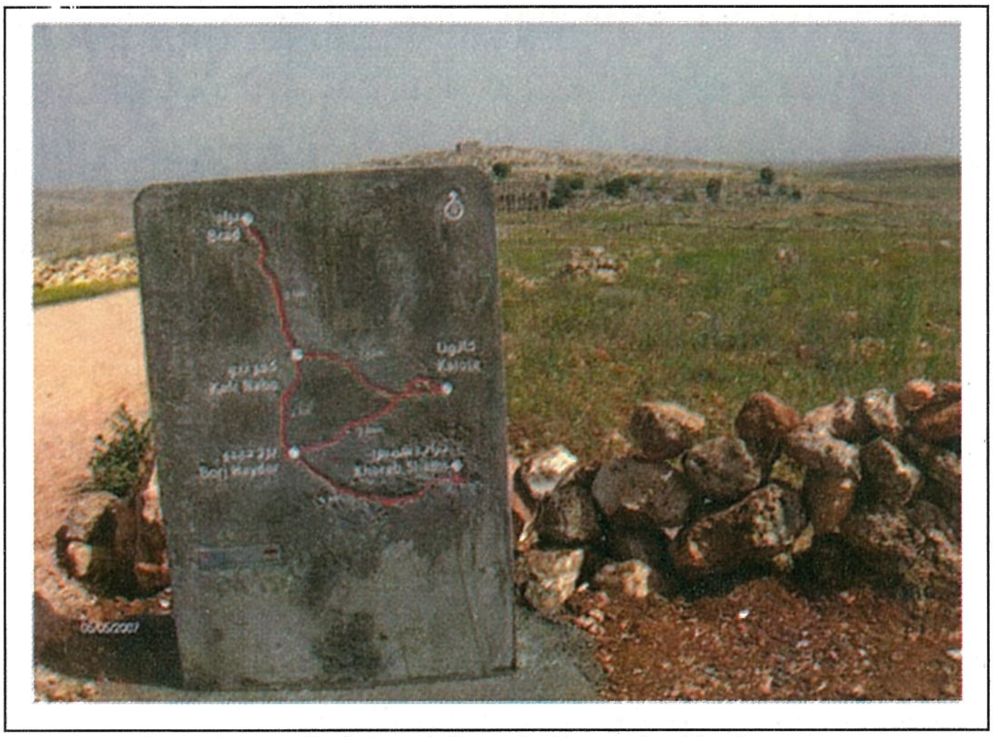


**الشكل رقم 65، شاخصة حجرية دالة لمسار هواة ورياضة المشي (تصوير م حجار)**

**الشكل رقم 66، صور عن مسار المشي الذي نفذته السفارة السويسرية (تصوير م حجار)**

## 8- وصف تقريبي تَخيّلي لبرنامج حجّاج وزوّار المزار في ذاك الزمان:

بعد وصول الحجّاج والزوّار للبلدة واستلام أماكنهم في نُزلها وحجز أماكن مبيتهم في أشكال استراحاتها وفنادقها، يرتاحون لمدة يوم أو يومين على الأرجح من عناء السفر المُجهد والمُتعب والمُهلك للجسد في تلك الأيام والزمن الغابر.

بعد استعادة قوتهم ونشاطهم البدني وحسب أعدادهم يُقسمون من قبل رهابنة الموقع والمزار، المسؤولين عن الحجيج والزوّار إلى مجموعات وفرق، ومن ثم يبدؤون بالمسير والمشي منطلقين من خلف الراهب أو القسيس، مسؤول ودليل مجموعتهم وفرقتهم باتجاه الدرب المقدس.

أول نقطة في مسيرهم هو القوس المزين بخطوط أحجاره المتلاصقة، ومن بعدها يكملون طريقهم طلوعا صاعدين بخطى وحركة خفيفة مناسبة مرددين الأناشيد والشعائر الدينية من خلف قائد المجموعة حتى وصولهم إلى الباب الأول المؤدي للمزار. بعد ولوجهم إلى القسم الأول من الموقع يدلفون إلى ساحة المزار المستطيلة الشكل. كل ما يرونه حتى تلك اللحظة من المزار هي الواجهة الأمامية من المبنى الكبير الضخم (الشكل رقم 67).

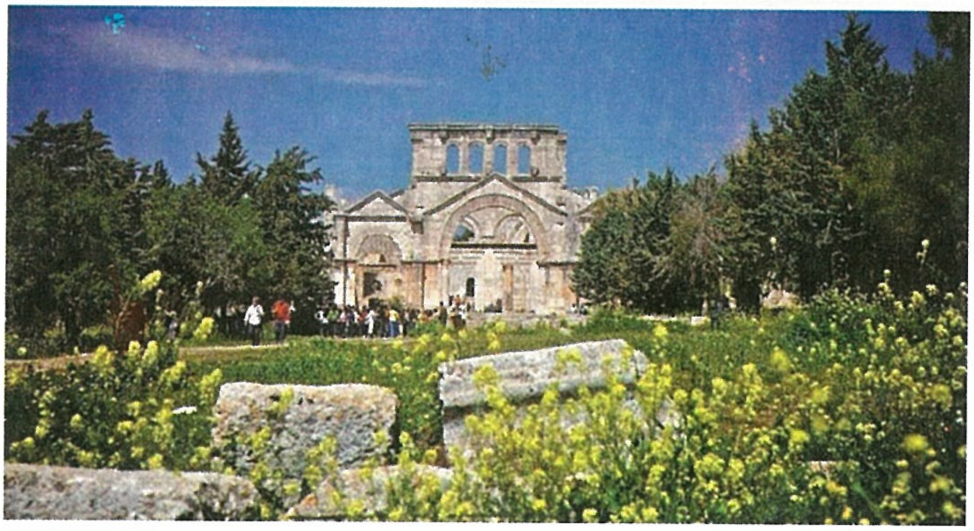

**الشكل رقم 67**

**المصدر:** http://alwatan.sy/archives/198565 -

قبل تكملة مسيرهم باتجاه الهدف يعرجون على الكنيسة المعمودية. هناك يشاركون بقداس خاص بهذه المناسبة ومن ثم يدخلون من المدخل الصغير التابع للمثمّن، الملحق بالكنيسة، وينزلون بضع درجات إلى حوض التعميد المغطى بالموزاييك (الأشكال رقم 42 و45 و46). بماء الحوض يُعمدون ويخرجون الواحد تلو الآخر من الباب الآخر ومن ثم يتابعون مسيرهم باتجاه الكنيسة المصلّبة.

كل هذه النقاط والوقفات والقداس والوقت المستقطع حتى وصولهم إلى الهدف ومبتغاهم يزيد ويرفع من حالة ترقبهم النفسية وترهبهم، ويزيدهم فضولا تخيلياً بما ينتظرهم ويقلل من صبر أرواحهم التي أصبحت مليئة بالرهبة والخنوع والإيمان.

بعد كل هذه الطقوس يكملون دربهم بقصد وبغاية زيارة العمود، ***هدفهم الرئيس من رحلة الحج هذه وذروة سفرتهم ورحلتهم وتاج حَجهم!***

وقفة أخيرة أمام الواجهة الرئيسة من الكنيسة المصلّبة، وإطلاق نظرة اندهاش وإعجاب وتقدير لتصميمها الهندسي المعماري الجميل ولزخرفتها الفنية الدقيقة ومن ثم يدخلون عبر حجرة أمامية مستطيلة، بعدها يكملون مسيرهم ببضع خطوات إلى داخل المبنى.

أخيراً، وأخيراً يستطيعون رؤية المرام والوقوف في نهاية مطافهم الديني الحجيجي، أمام ***العمود المقدس***، هدفهم ومبتغاهم وقصدهم المنشود من كل رحلة الحج بعد السفرة الشاقة المجهدة!!

ملتفين ومجتمعين حول مصطبة العمود الأسطوري يستمعون وينصتون بكل خشوع وإجلال لكلمات قائد ودليل مجموعتهم الحاجّة الزائرة، التي تَسرد قصة وفعل هذا القدّيس الفريد، وتشرح أعجوبة طريقة حياته الإيمانية الإعجازية المميزة. بعدها كل على حدة يتجول ويتعرف إلى المبنى الديني الجميل وبأضلاعه الأربعة، خاصة الشرقي منه وحنيته وأرضيته الرخامية الزاهية وديره. وأخيراً, وليس أخيراً مقبرة رهبانه، وربما من علو المقبرة يستمتعون بالنظر ويسرحون بالتمعن بأفق الطبيعة الجميلة المتاهية والخلابة المحيطة بالموقع، خصوصاً طرفه الغربي.

على الأغلب يمكثون بعدها عدة أيام في البلدة، ويتعرفون من خلالها إلى الكنائس والأديرة الأخرى، وبشكل حيّ ومباشر على طريقة حياة وسلوك قساوستها ورهبانها إلى جانب زيارتهم للأماكن الدينية القريبة، ربما كنيسة المشبك الرائعة الواقعة على سفح هضبة صخرية، شرقي بلدة دارة عزّة اليوم، ومن ثم يقفلون عائدين لأوطانهم وأهلهم معتزين بنفوسهم وفرحين وسعيدين روحياً ووجدانياً وإيمانياً.

قبل عودتهم إلى ديارهم وأوطانهم يبتاعون طبعا التذكارات الدينية والدنيوية من المزار نفسه ومن سوق البلدة، وقبل البدء بالمغادرة يودعون بحرقة الوداع مضيفيهم بعناق وبقبلات على الطريقة الشرقية الحميمة، ومن ثم يمتطون ظهور رواحلهم ويبدؤون بالتحرك بخطوات بطيئة ملتفين صوب مودعيهم الملوحين بمناديلهم والواقفين بمخرج البلدة، وكل ذلك بنفوس مليئة بالإيمان والقدسية والخشوع والانطباعات المذهلة عن مشاهداتهم ومصادفاتهم التي سينقلونها بكلماتهم وشرحهم ووصفهم المجازي التخيلي الشخصي المبالغ به حتماً إلى أهلهم وذويهم وأقربائهم ومعارفهم وأصدقائهم بمجالس الاستقبال وبمضافات الترحاب التي تنتظرهم بأوطانهم.

# 9. المصادر والمراجع

الدراسة تعتمد بالدرجة الأولى على هذه المصادر والمراجع السبعة الأولى:

1. كُتيب الدكتور شوقي شعث: قلعة سمعان.. الطبعة الأولى منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق 1983، الطبعة الثانية منشورات دار القلم العربي حلب1991.

2. القسم التاريخي من كتاب: جنداروس في شمال غربي سوريا، أبحاث تاريخية حول الاستطيان في العصور الهلينيستية والرومانية والبيزنطية. تأليف نوربرت كرامر، تعريب محمد سالم قدور، أعداد د. آزاد حموتو. دمشق 2007.

3. كتاب المهندس عبد الله حجار: كنيسة القدّيس سمعان العمودي وآثار جبلي سمعان وحلقة. دار ماردين، حلب 1995.

4. كتاب المهندسة المعمارية المؤرّخة كريستينة شتروبة الشامل والمختص حول المدن البائدة، الذي يعتبر مرجعاً أساسياً في هذا المجال.

5. American Archaeological Expedition to Syria (1899 -1900)
   Princeton Archaeological Expedition to Syria (1904-5&1909)
   Early Churches in Syria, E. Baldwin Smith, Amsterdam 1969.

6. Christine Strube
   Die Toten Städte, Stadt und Land in Nordsyrien während der Spätantike.
   Philipp von Zabern Verlag, Mainz 1996.

7. الكتاب الثقافي، الفني، المعماري والتاريخي القيم بعنوان: **سوريا**، حضارات مزدهرة ما بين البحر الأبيض والصحراء العربية. للمؤلفين فرانك راينر شك ويوهانس اودنتال. المرجع هو من منشورات أهم دار نشر مختصة بهذا المجال في ألمانيا:

Frank Rainer Scheck – Johannes Odentahl
SYRIEN, Hochkulturen zwischen Mittelmeer und Arabischer Wüste.DuMont Buchverlag, Köln. 1998.

8. J. M. De Vogüé:
Syrie Centrale, Architecture civile et religieuse.
Paris 1865- 1877, 2 volumes.
9. Die Wallfahrtkirche des Simeon Stylites in Qal'at Sam'an , bei D. Krenker, Berlin, 1939.
10. Sanctuaires Chrétiennes de Syrie, Jean Lassus, Paris 1947.
11. Villes mortes de haute Syrie, P. Joseph Mattern, Beyrouth 1944.
12. Villages Antiques de la Syrie du Nord, G. Tchalenko, Paris 1958.
The Christian art of Byzantine Syria, Ignacio Pena, Spain 1997
13. The church of St Simeon the Stylite and archaeological sites of Simeon and Halaqa mountains, Abdallah Hadjar, Damascus 1995.
14. Muslem military architecture in greater Syria From the coming of Islam to the Ottoman period edited by Hugh Kennedy 2006,
(the Kastron of Qal'at Sim'an by Jean Luc Biscop).
15. Stylites Syriens, Reclus Syriens, Cénobites Syriens, PP I. Pena, P. Castellana, R. Fernandez.
16. Georg Gerster , Ralf-B. Wartke:
Flugbilder aus Syrien. Von der Antike bis der Moderne.
Philipp von Zabern Verlag, Mainz 2003

- المصادر العربية:

- زبدة الحلب في تاريخ حلب ابن العديم، تحقيق د. سهيل زكار.
- معجم البلدان ياقوت الحموي.

- الإشارات إلى معرفة الزيارات، علي أبو بكر الهروي، تحقيق جانين تومين سورديل.

10 · **الأشكال (الصور والمخططات):**

الصورة الصغيرة من مجموعة الأستاذ المهندس عبد الله حجّار.

- الصورة الجوية في الصفحة رقم 3 مأخوذة من كتاب صور جوية من سوريا للمصور الألماني غيرستر.(المرجع رقم 16).

- الأشكال رقم 1، 2، 5، 6، 13، 14، 15، 22، 23، 27، 30، 31، 32، 33، 35، 36، 37، 39، 40، 41، 42، 44، 45، 46، 47، 49 مصدرها كتاب كريستينه شترويه (المرجع رقم 6).

- الأشكال رقم 3، 25، 28 مصدرها الكتاب الثقافي الصادر عن دار نشر دومنت (المرجع رقم 7).

- الأشكال رقم 4، 8، 9، 10، 16، 29، 48، 54، 55، 56، 57، 60، 61، 62، 63، 65 مصدرها كتاب المهندس عبد الله حجّار (المصدر رقم 3).

- الأشكال رقم 11، 12، 18، 19، 20، 21، 34، 52 مصدرها كتيب الدكتور شوقي شعث (المرجع رقم 1).

- الأشكال رقم 5، 7، 38، 43، 50، 51، 53، 58، 64 مصدرها شرائح ملونة التقطتها بكاميرتي بصيف العام 1985.

المؤلف ونيافة المطران يوحنا إبراهيم
في إحدى الفعاليات الثقافية

## الدكتور آزاد حموتو

- مواليد عفرين/ المعبطلي، سوريا.
- دكتوراه في آثار وفن الشرق القديم والاجتماع العمراني. من جامعة مونستر - ألمانيا.
- خبير سابق بالسياحة الثقافية المستدامة لمنطقة الشرق الأوسط وشبه الجزيرة العربية، إلى جانب عمله كباحث ومستشار للحفاظ على تراث ومكونات البلدات القديمة: صنعاء/ اليمن وحلب القديمة أنموذجاً.

# القديس سمعان السوري

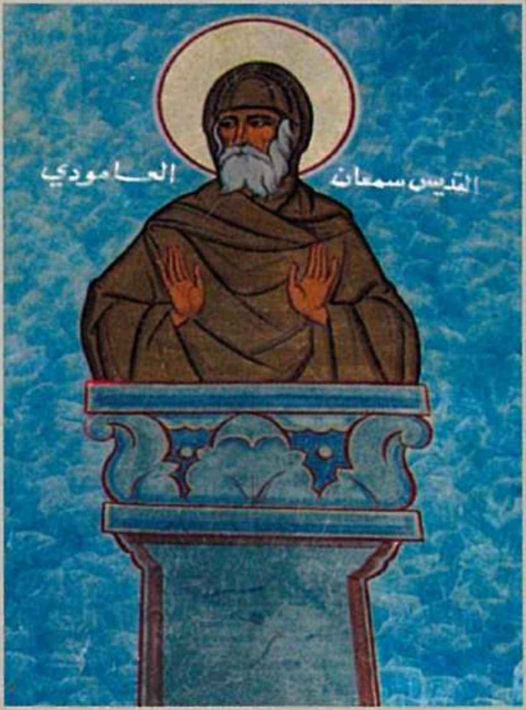

دار الزمان
للطباعة والنشر
والتوزيع

DAR AZ-ZAMAN Publishing

ISBN 978-9933-636-12-8

9 789933 636128

تصميم الغلاف: م. جمال الأبلح